الفصل الثاني

بنو إسرائيل ـ يعقوب

أوضحت في الفصل الأول أن العبرانيين ليسوا هم بني إسرائيل وإنهم مجموعات من البدو السائبة في الصحارى وخارجة عن سلطة القانون وحقوق الحماية الإمبراطورية السائدة في منطقة الشرق من المتوسط وهم مجموعة تواجدت قبل أن يظهر يعقوب إلى الوجود بمئات السنين وإن العبرانيين ليسوا هم أيضاً من ذرية إبراهيم الخليل كما لا علاقة للعبرانيين بالعرب العاربة بعد البائدة (بادية العرب الأولى الآرامية ـ وإن وجود اليهود أو كلمة يهود تعود للقرن العاشر (ق.م) ولا علاقة للعبرانيين بما يسمى اليهود.

في هذا الفصل نتوسع في بحث ودراسة أصول وجذور وتاريخ بني إسرائيل كقبيلة موحدة جاءت من أبوة إبراهيم مباشرة ولا علاقة بمن تهود من الأمم بها ـ قبلياً أو عرقياً وحتى تاريخياً ـ نبدأ هنا بالتأكيد على إيماننا بأن أصل الدين واحد والإله مرسل الرسل والأنبياء لا إله غيره رب الناس ـ فالدين لكل الناس بغض النظر عن عرقهم ولونهم ولسانهم وموطنهم، القرآن الكريم الحجرات (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).[49]

دخل إبراهيم (ع) إلى أرض فلسطين (كنعان) برفقة زوجته سارة وابن أخيه لوط قادماً من دمشق حيث قدم من حاران شمالاً والتي ارتحل إليها هرباً من قومه وأبيه عابدي الأصنام المنقلبين والمرتدين بعد عبادة الله للإله إيل وغيره من آلهة القمر وكان إبن خمس وسبعين عاماً لما دخل أرض كنعان ـ وحل ضيفاً مكرماً على ملك (يابوس أو رسالم) وباني أسوارها الملك الكاهن لله الواحد القدير ـ والعربي الموحد ملكي صادق الذي كان وعشيرته من العشائر القليلة التي بقيت على التوحيد لله الواحد من ذرية آدم الموحد. من العهد الجديد ـ العبرانيين.

---

[49]- القرآن الكريم، الحجرات، 13.

(لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه ـ الذي قسم له إبراهيم عشراً من كل شيء ـ المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ساليم أي ملك السلام بلا أب بلا أم بلا نسب ـ لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً للأبد)[50].

وأيضاً التوراة ـ تكوين (وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهن الله العلي وباركه وقال مبارك إبراهيم من الله العلي مالك السموات والأرض)[51].

يتلاعب الكتبة والأحبار في قصة إبراهيم ضمن الرواية الكتابية وبشكل يبدو واضحاً ومحرجاً لكل الذين يتبنون هذه الرواية بصيغتها الحالية تحت زعم (المقدس وكلمة الله) وهي ليست بكاملها كذلك وإن وُجد كتاب النبي موسى بين دفتيها ـ وكنت قد ألقيت محاضرة وبحثاً في هذا الموضوع نشر في مجلة الأمل الفكرية السورية الفصلية العدد السابع شتاء 2010 وتحت عنوان (التناقض التاريخي للرواية التوراتية).

(منذ قرون خلت والمدرسة الأصولية الغربية تعمل جاهدة لتثبيت مفاهيم كتابية ضمن معايير خاصة بها لقراءة تاريخ المشرق القديم وضمن محاولات هادفة لرتق الفجوات وتبرير التناقضات التاريخية الصارخة التي اعترت الرواية الكتابية المكتوبة في بابل العراق ـ ومع تقدم العلوم والمعارف وفك رموز اللغات القديمة واكتشاف الآثار والرقم والمخطوطات وقراءتها وتطور علوم الآثار الحديثة ـ خصوصاً اكتشاف وثائق البحر الميت (قمران) ومخطوطات البردي في نجع حمادي وقراءة رقميات ولقى أوغاريت وإيبلا ـ اتجهت بعض المدارس الغربية نحو الاعتدال والواقعية في محاولة لقراءة موضوعية لما هو إلهي وما هو بشري ضمن هذه الرواية فيما اتجهت مدارس أخرى وعلماء وباحثين حرفيين نحو معرفة الحقيقة التاريخية المجردة . من الانحياز والتعصب وبعيداً عن المركزية الأوربية والسياسات المؤثرة في دراسات التاريخ والنظرة الاستشراقية والاستكبارية متوخين بذلك خدمة المعرفة المجردة والحقيقة في دراساتهم الكتابية والتاريخية ـ من أولئك الباحثين الموضوعيين

[50]- العهد الجديد، سفر العبرانيين، 1-2-3.

[51]- التوراة، تكوين، 14- 18- 19.

الباحث الفرنسي سيمون نايوفيتس في كتابه مصر أصل الشجرة حيث يقول فيه: (فهذه الرواية المتعجرفة والمتعصبة التي تجعل من كل ما هو قبل موسى (وثنية) وثقافة وثنية ـ أمر يبعث على الضحك فحسب ـ وعلى عكس النصوص القديمة كافة لم يعلن الكتاب المقدس اليهودي المسيحي مراراً وبتكبر باعتباره واقعياً وعلى أنه الحقيقة ـ بل كذلك باعتباره المصدر الوحيد (وحي الرب) وهذا الرأي غير العادي لم يواجه بنجاح إلا مؤخراً ـ فمن حسن الحظ ـ أن معظم الباحثين الآن يرفضون فكرة أن أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس صحيحة بشكل آلي لمجرد أنها في الكتاب المقدس ـ ربما تكون الطريقة الأكثر حياداً لوصف ما حدث هي أنه كان نقطة تحول في تاريخ الديانة وليس (وحياً)[52].

انطلاقاً من هذه المقدمة الموجزة سأحاول التطرق للقليل من الكثير الذي شاب الرواية الكتابية من غموض وتناقض تاريخي لا يزالا حتى يومنا هذا موضع بحث الباحثين ودراسة الدارسين المتخصصين في مراجعة التاريخ القديم لمنطقة الشرق القديم ـ وبما أن موضوعنا يتعلق بالشق التاريخي للرواية الكتابية وما يترتب عليها من محاولات مشبوهة غايتها إبراز مفاهيم وقيم وأحداث تاريخية وروحية قد لا تكون صحيحة أو منطقية ـ وما أكثرها أتطرق بهذا البحث التاريخي إلى حدثين مهمين لا زالا إلى اليوم موضع إشكال ومراجعة البحث الأول ـ زيارة النبي إبراهيم (ع) كما وردت في التوراة ـ إلى مصر وقصته التي تبدو خيالية وتكاد الرواية تجعل منه (قوادا) بتقديم السيدة سارة إلى الفرعون وقوله إنها أختي تلك القصة الأسطورية التي هدف مدعوها لوصف السيدة هاجر زوجته العربية العمورية السورية (بالجارية المصرية) !. وكيف يتوافق تاريخ وجود النبي يوسف (عليه السلام) في دلتا النيل المصرية مع وجود ممالك (الهيكسوس) الملوك العرب الكنعانيين العموريين (الملوك الرعاة) في ذات المنطقة. والثاني ـ كيف يتوافق أيضاً وجود بني إسرائيل مع الهيكسوس ومن ثم بعد خروجهم مع الترتيب الزمني لعصر حكم فرعون الموحد (أخناتون) أمنحتب الرابع.

السلالة الثامنة عشرة المصرية وكيف يتوافق زمن الخروج لأصحاب موسى مع قومه بعد وفاة الموحد أخناتون ملك التوحيد الأول مع قصة الخروج الأول

[52]- سيمون نايوفيتس، مصر أصل الشجرة، ج. 1، ص.188-189.

الهيكسوس وعودتهم للقدس ؟ ـ لا أحد من الباحثين والمؤرخين يتنكر لحقيقة تبني موسى لعقيدة التوحيد الأتونية التي تم الانقلاب عليها في مصر على يد كهنة أمون .

إن الدارس المتعمق والمقارن ما بين الرواية التوراتية والرواية القرآنية مع ما أثبتته المخطوطات و المكتشفات والنقوش الباقية سيصل إلى نتيجة هامة مفادها أن هناك تكراراً لقصة الخروج من مصر وكان هذا الخروج قد تم مرتين وفي حقبتين مختلفتين ولجماعتين مختلفتين أيضاً ! !واللافت هنا أن التوراة المكتوبة لم تورد آية إشارة أو معلومة أو ذكر لهذين الحدثين المهمّين ـ (عصر الهيكسوس وعصر أخناتون) بالرغم من تعايش بني إسرائيل مع هذين الحدثين لمدة لا تقل عن ثلاثمئة وثلاثين عاماً!

في البحث والتقصي والمراجعة للمصادر التاريخية المختلفة والمدونات والمتاحف والنقوش المصرية القديمة ومقارنة للعهد القديم مع القرآن الكريم وخاصة الخروج ـ أذكر بالوقائع التالية ـ يذكر الجدول التاريخي للكتاب المقدس ـ العهد القديم البند رقم 2- حرفياً (البرونزي الأوسط الثاني (1800-1550 ق.م) حوالي 1800 أول قدوم عشائر الآباء إلى كنعان)[53].

سوف أثبت هذا الحدث تاريخياً من العهد القديم ـ (فذهب أرام كما قال له الرب وذهب معه لوط وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ـ فأخذ إبرام امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان ـ فأتوا إلى أرض كنعان)[54] ونثبت هنا دخول إبراهيم أول الآباء إلى أرض فلسطين وهو العام 1800 ق.م تقريباً ونثبت من التوراة السنوات التي عاش فيها إبراهيم في أرض فلسطين ووفاته أيضاً (وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مئة وخمسة وسبعين سنة ـ وأسلم إبراهيم روحه ومات في شيبة صالحة شيخاً مشبعاً وشبعان أياماً وانضم إلى قومه)[55] .

خلاصة القول هنا إن إبراهيم (عليه السلام) قد دخل فلسطين تقريباً (1800) ق.م ولنقل دائماً أن هناك خمسين عاماً زائداً أو ناقصاً. وتوفي بعد مئة عام تقريباً وهو في سن (175 سنة) وهذا يعود بنا للعام (1700 ق.م) حيث كان قد أنجب ابنه

---

[53]- العهد القديم، الجدول التاريخي، ص. 17.

[54]- العهد القديم، تكوين، 12-4-5.

[55]- العهد القديم، تكوين، 25-7-8.

البكر إسماعيل (عليه السلام) وابنه الثاني إسحاق (عليه السلام) وولد لإسحق ولدين هما عيسو الولد البكر ويعقوب (ع) غير البكر الذي جاء ممسكاً بعقب أخيه البكر ومن هنا جاءت تسمية يعقوب ـ وتوكد المصادر المختلفة أن إبراهيم قد عاصر أولاده وأحفاده أيضاً وبخاصة النبي يعقوب ومن القرآن الكريم (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[56].

يذكر الدكتور محمد بهجت القبيسي في دراسته التاريخية بمجلة الأمل الفصلية ـ عدد صيف 2009 ص.97 .

(ولقد وردت في المحفوظات والوثائق المصرية عبارة (عمو) مختصراً للعموريين السوريين العرب ـ وحيث وصفت غربياً تحت اسم (هيك سوس) الملوك الرعاة باليونانية وهو تغريب غير بريء لكلمة (العموريين)[57] ويذكر الجدول التاريخي للعهد القديم حرفياً (مصر المرحلة الانتقالية الثانية المسماة (الهيكسوس) 1730-1550 ق.م) ومن مصادر أخرى فإن حقبة الهيكسوس هي ما بين (1785– 1575 ق.م).

نتحقق هنا ومن هذه التواريخ من حدثين مهمّين ـ أن إبراهيم قد عاش مدة (175 عاماً) وقد عاش ما بين (1875 ـ 1700 ق.م) وبما أن زمن حكم الهيكسوس في دلتا النيل (تل الدبا ـ أفاريس رعمسيس) ابتدأ من بين (1730-1550 ق.م) وخروجا والأصح تاريخياً (1785-1575 ق.م). فإن زيارة إبراهيم وزوجته سارة إلى مصر والمدعاة توراتياً قد تمت في زمن الهيكسوس وإلى ممالكهم العمورية الكنعانية العربية وقد توفي إبراهيم أيضاً ولا زال الملوك العرب الرعاة يحكمون أرض مصر الشمالية (الدلتا) ولم يقم بزيارة للفرعون؟

وللغاية من التبديل باختلاق قصة سارة مع الفرعون وأخذها إلى بيته وتبرئ إبراهيم منها بقوله إنها أختي ليصبح لإبراهيم جمال وبقر ومواش وخدم وأموال بسببها ـ إنما هي قصة مبتورة هدف الكتبة منها تزوير تاريخي يؤسس لما بعده ـ عبر الادعاء بأن إبراهيم قد تزوج من جارية مصرية اسمها هاجر التي ولدت ابنه البكر

---

[56]- القرآن الكريم، البقرة، 132.

[57]- أ.د محمد بهجت القبيسي، مجلة الأمل، صيف 2009، ص.97.

إسماعيل جد العرب العاربة بعد العرب البائدة ـ بينما في الحقيقة فإن إبراهيم كان وجيهاً وسياسياً تاجراً وله أغنام وأبقار وجمال بين مكة والشام وأرض مصر وقد حل ضيفاً مكرماً على الملوك الرعاة العرب العموريين القادمين من بلاد الشام والعراق وتزوج منهم أميرة عربية اسمها (الأميرة هاجر)!؟؟

الأميرة الزوجة هاجر التي ولدت لإبراهيم ولداً بكراً يتولى الرياسة بعد طاعة إبراهيم لله بمحاولة التضحية به قرباناً وطاعة ـ فكان لا بد من اختلاق قصة الجارية تبريراً لإقصاء العرب عن البكورة ومن التوراة (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحق ـ فقالت لإبراهيم اطرد هذه الخادمة وابنها فإن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابني إسحق)[58] واللافت في الأمر أن الكتبة والمفسرين يحاولون عبثاً العمل على رتق الفجوات واختلاق المسوغات لتسويق قصة سارة مع الفرعون ضمن محاولة لا تخلو من استغباء للعقل.

وتقول حاشية الشرح للعهد القديم بهذا الخصوص وهي تظهر النبي إبراهيم الذي حطم الأصنام جباناً يختبئ خلف زوجته ويتبرأ منها خوفاً على حياته بقوله عن سارة زوجته ـ إنها أختي ـ بل يقدم داخل النص بطريقة يكاد يكون فيها (قواداً) ـ تقول الحاشية وأنقلها كما وردت حرفياً (هذه الرواية تجدها في الفصل العشرين الإيلو هي (سارة أيضاً) وفي 26-1-11- اليهودي ـ رفقة- وغايته الإشادة بجمال حدة النسل وبراعة إبراهيم والحماية التي حصل عليها كلاهما من الله ـ لهذه الرواية طابع خلقي غير مكتمل والضمير هنا لا يستنكر فيه كل كذب وحياة الزوج في هذه الحالة الأخلاقية مفضلة على شرف المرأة؟ فالبشرية بهداية الله لم تع الشريعة الخلقية إلا تدريجياً)[59] انتهى قول الحاشية.

إن التفسير هنا ينضوي تحت لواء قدسية النص ـ وهو واقع في أسره فلا يشك بقيمة أو ينتقده انتصاراً للمنطق العقلي المتوافق مع رسالة الهداية السماوية بل يسوغ الرواية ويسوقها على أنها تطور أخلاقي!!

ثبتنا تاريخياً توافق دخول إبراهيم لمصر وفلسطين مع فترة حكم الهيكسوس لمصر الشمالية حيث سكن بنو إسرائيل هناك ومن قبلهم النبي يوسف (عليه

---

[58]- العهد القديم، تكوين، 21-9-10.

[59]- العهد القديم، تكوين، الحاشية.

السلام) سنلاحظ ذلك من تواريخ التوراة نفسها الجدول التاريخي للتوراة يؤكد ذلك دون إعطاء أجوبة على ما ورد من تناقض تاريخي ويترك الأمر إلى إشارات استفهام كما وردت فيه (1700 ق.م) نزول مجموعات سابقة لإسرائيل (المقصود قبل يعقوب ـ إبراهيم) إلى مصر؟ قدوم عشائر أخرى من الآباء مرتبطة بالآراميين؟[60] كما ورد في هذا المقطع من الجدول التاريخي يكمن التجاهل والتناقض مع الرواية التوراتية ـ فنزول مجموعة سابقة ليعقوب وقبل ذلك نزول عشائر أخرى مرتبطة بالآراميين إلى مصر فالأولى هي زيارة إبراهيم إلى دلتا النيل المصرية والثانية هي مكيدة إخوة يوسف وبيعه إلى تجار مصر ثم بيعه هناك إلى تجار النيل وملوك الهيكسوس خاصة إذ ما علمنا ومن التوراة إن القافلة قد سلكت طريق حورس الذي تتوفر فيه آبار المياه ويتجه حتماً من غزة ورفح إلى القنطرة شرق والمؤدية عبر جسر خشبي إلى رعمسيس و أفاريس شمالاً وعلى الفرع النيلي البلوظي- المسمى توراتياً (نهر الشيحور) تقول التوراة (وما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمئة وثلاثين سنة)[61] ـ سنجري عملية حسابية بسيطة وفاة إبراهيم (1700 ق.م) بعد معاصرته لبنيه ويعقوب ثم ولادة يوسف وتنكر أخواته له طفلاً = 1675 ق.م ـ تاريخ دخول التقريبي إلى مصر ـ بقاء بني إسرائيل في مصر قبل الخروج الثاني= 430 عاماً الخلاصة= 1675- ناقصاً 430 (الإقامة = 1245 ق.م وهي سنة خروج موسى مع أصحابه من مصر إلى سيناء وبحسب قاموس التاريخ للعهد الجديد وكما ورد ـ (وملك) أمنوفيس الرابع/ أخناتون 1364- 1347- تل العمارنة) ص. 18 وضمن هذه التواريخ يكون بني إسرائيل ومعهم النبي إبراهيم قد عاصروا في الدلتا الملوك الرعاة الهيكسوس من العموريين والكنعانيين.

كما عاصروا حكم الفرعون الموحد الأول أمنحتب الرابع (أخناتون) من السلالة الثامنة عشرة المصرية- ثم خروج فريق منهم (أصحاب موسى) من بني إسرائيل بعد تولي الفرعون الجديد الذي أعاد مصر إلى ديانة أمون والذي اضطهد أتباع أخناتون من العبرانيين والكنعانيين والمصريين أيضاً.

السؤال هنا لماذا تجاهل كتاب وكهنة الرواية الكتابية وبالمطلق هذين الحدثين الكبيرين- وما هي الحقائق التاريخية والروحية التي كانت ستطيح

---

[60]- العهد القديم، الجدول التاريخي، ص. 18.

[61]- العهد القديم، الخروج، 12-40.

بمصداقية الرواية برمتها بما في ذلك قصة الخروج وادعاء شعب الرب وأرض الميعاد؟ هذه الأسباب الخفية والمعلومات التاريخية المغيبة تعيدنا إليها الرواية القرآنية.

(ولا ننسى إن الحكم في مصر أيضاً للأسرتين السابعة والثامنة كانتا من العرب العموريين (السوريين) ثم حكم العموريين (الهيكسوس) من بلاد الشام من نهاية الأسرة /14/ وحتى الأسرة /17/ (1730- 1575) ومن مصادر أخرى (1785-1575)[62] وهي أقرب للصحة- لهذا نستعمل كلمة تقريباً- أو بفارق خمسين عاماً- من التوراة تأكيداً على آرامية إبراهيم.

(ثم تتكلم وتقول أمام الرب إلهك - إن أبي كان آرامياً تائهاً- فنزل إلى مصر وأقام هناك مع رجال قلائل- فصار هناك أمة عظيمة قوية كثيرة)[63].

يقر الباحثون الآثاريون والكتابيون في جامعة تل أبيب بصحة التناقض والشكوك التي تحيط برواية الخروج ويقول الدكتور إسرائيل فلنكشتاين بهذا الصدد- (لكن هناك تشابها ًأكثر صدقا ًبين الهيكسوس والقصة الكتابية للإسرائيليين في مصر على الرغم من الاختلاف الحاد في اللحن ويصف مانيثيو انتهاء احتلال الهيكسوس وقتل العديد منهم وتابع فلولهم إلى حدود سورية في الحقيقة ذكر مانيثيو بأن الهيكسوس بعد طردهم من مصر قاموا بتأسيس مدينة أورشاليم وبنو هناك معبداً- هناك معبد مصري يعود للقرن السادس عشر قبل الميلاد موثوق أكثر بكثير من كل ما سبق ـ يقص مآثر الفرعون أحموس من السلالة الثامنة عشرة ـ ذكر أنه استباح مدينة أفاريس وطرد منها فلول الهيكسوس إلى حصنهم الرئيسي- شاروحين- جنوب كنعان قرب غزة ثم اقتحمها وفتحها أيضاً بعد حصار طويل، وفي الحقيقة حوالي منتصف القرن السادس عشر ق.م هجر تل الدبا مسجلاً نهاية مفاجئة للتأثير الكنعاني هناك- إذن فالمصادر الآثارية التاريخية تخبرنا عن هجرات الساميين من كنعان إلى مصر ومن مصريين قاموا بطردهم بالقوة هذه الخلاصة الأساسية للهجرة والعودة العنيفة إلى كنعان تتوازي مع القصة الكتابية للخروج الجماعي ويبقى هنا سؤالان رئيسيان- الأول من هم هؤلاء المهاجرين الساميون؟ والثاني كيف يتطابق تاريخ زيارتهم لمصر مع الترتيب التاريخي الزمني للأحداث التوراتية ؟)[64].

---

[62]- أ. د محمد بحجة القبيسي، مجلة الأمل، صيف 2009، ص 97.

[63]- العهد القديم، التثنية، 26-5.

[64]- أ. د إسرائيل فلنكشتاين، التوراة مكشوفة على حقيقتها، ص. 89-90.

ذكرت وفي عدة كتب مطبوعة إن عصر إبراهيم وإسحق ويعقوب هو عصر كنعاني آرامي عربي مرتبط ثقافياً وانتماء توحيدياً بالجزيرة العربية الممتدة من سيناء إلى مكة المكرمة وما حولها وصولاً إلى الموصل والهضبة التركية الحالية مروراً بدلتا النيل الشمالية وهي الأرض (التي باركنا فيها) وهذا الانتماء مرتبط أيضاً بالقبائل العربية الأم وقبل أن تتفرع العربية إلى لهجات مختلفة شرقية وغربية ولا علاقة لعصر موسى المصري بثقافته وعبادته الذي يأتي عصره بعد عصر إبراهيم بحوالي سبعمئة عام ـ وهناك فصل واضح ما بين عصر عبادة الإله الواحد إيل وعصر التوحيد الأتوني المصري تاريخياً ـ وتأتي الآية القرآنية موكدة على ذلك.

(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحد ونحن له مسلمون) (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)[65].

إن الإرباك والقصور الذي يعتري معظم أبحاث ودراسات الباحثين الغربيين ـ إنما هو نابع من التمسك بالمركزية الأوربية ومبدأ سموا الحضارة الغربية والإنسان الأبيض على ما عداها من الثقافات والحضارات الإنسانية الأخرى وتبني مبدأ (ديني هو الحق وما عداه باطل) في حين يفترض دراسة وتفحص الروايات المقدسة الأخرى التي تلقي الضوء على كثير من الجوانب الغامضة والمستعصية التي اعترت الرواية التوراتية ـ وفي سبيل الإثراء وخدمة المعرفة والحقيقة المجردة من التعصب السياسي والمركزية الأوربية. بمراجعة للكتاب المقدس ـ العهد القديم وأسفاره تبين أنها تتحدث عن الحاكم في مصر وفي مختلف المراحل بوصف (الفرعون).

لم ترد عبارة ملك إلا في سفر الخروج ـ وتبدأ العبارة نشازاً وتبريراً غير موفق للخروج من الفردوس المصري بعد ملك وسلطان كما تقول التوراة ويقول القرآن الكريم ـ هذه العبارة أراد كتبتها إخفاء حقيقة الصراع ما بين ديانة التوحيد الأتونية الموسوية وبين ديانة الفرعون الإله الجديد الوثنية التي اضطهدت أتباع الموحد أخناتون ـ مصريين وكنعانيين ومعهم البعض من بني إسرائيل وتسخيرهم في أعمال المحاجر والمقالع انتقاماً من التوراة.

---

[65]- القرآن الكريم، البقرة، 133-134.

(ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ـ فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا)[66] ـ وبتفحص سور القرآن الكريم كافة من البقرة إلى قصار السور لوحظ أن القرآن الكريم يصف الحاكم المصري بالفرعون إلا في سورة يوسف حيث لم يذكر الفرعون مطلقاً ـ بل ذكر الحاكم بعبارة الملك أربع مرات ـ هذه المعلومات تعيدنا إلى القصة الحقيقية التي تعمد الكتبة تغيبها ـ وتتوافق عما استنتجناه في بحثنا إلا وهو أن إبراهيم ويعقوب ويوسف (ع) قد عاصروا وتعايشوا في مصر مع (الهيكسوس) السوريين العموريين الكنعانيين العرب قبل اضطهاد فرعون الردة لأحفاد يوسف وللموحدين المصريين معهم ولا تبدو هنا الأسباب التوحيدية مبرراً لخروج أصحاب موسى بدليل عبادتهم للعجل الذهبي لاحقاً متنكرين لموسى ودعوته وهو يتلقى الوصايا على جبل الطور في سيناء والذي حطم الألواح غضباً! الاستنتاج المهمّ الذي لا يدركه البعض في هذه الرواية ـ هو أن الخروج المدعى توراتياً قد تم على مرحلتين مختلفتين ولحقبتين تاريخيتين متباعدتين وبأسباب مختلفة تماماً ظرفياً وموضوعياً.

بني إسرءيل يعبدون العجل الذهبي وموسى يكسر ألواح الوصايا غضباً

[66]- التوراة، خروج، 1-8-9.

القرآن الكريم (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم...)[67] وكذلك (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب[68]).

الآيات التي تبين بوضوح أن الاضطهاد الفرعوني لم يكن موجهاً إلى بني إسرائيل خاصة ـ إنما هو اضطهاد طال جميع الذين اتبعوا ديانة أتون التوحيدية ومن بعده توحيد موسى الذي ترعرع في مدرسة التوحيد الأتونية والتي هي امتداد لديانة وتوحيد النبي يوسف وبدليل (قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فما هي الأسباب التي دعت الكتبة للتبديل والتنكر لحديثين مهمّين عاصرا بني إسرائيل حكم الهيكسوس- وثورة العمارنة أخناتون؟

تأتي الرواية القرآنية لتضع النقط فوق حروفها في مشهد إلهي ووحي يوثق تاريخياً.

الخروج الأول: خروج الهيكسوس والليبيين ولم يكن خروجاً تاماً من دلتا النيل وحيث حكم الفراعنة بعد هذا الخروج إمبراطورية واسعة امتدت من الفرات إلى النيل وآسيا الصغرى.

الخروج الثاني: خروج نجم عنه عذاب لآل فرعون والبعض من (الملأ) من قوم فرعون ولم يحصل فيه خروج كامل لمن بقي من الكنعانيين وسكان سيناء ومنهم بنو إسرائيل حيث نتج عن هذا الخروج المحدود وراثة الأرض من آل فرعون (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[69] (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذ هم ينكثون).

---

[67]- القرآن الكريم، غافر، 28.
[68]- القرآن الكريم، غافر، 34.
[69]- القرآن الكريم- الأعراف- 128.

(فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)[70] (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)[71].

ويستدل من سياق الآيات القرآنية التاريخية انقضاء سنوات طويلة قبل الخروج الأخير (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ثم حصل انتقام إلهي بغرق الفرعون وجنوده وضعف شديد لقومه ووراثة الأرض ما بين الشرق والغرب لفرعي النيل والغرق هنا حاصل في اليم وليس في البحر الأحمر؟

فالورثة للأرض كانت لمن بقي من الكنعانيين العموريين وبني إسرائيل ممن لم يخرجوا مع موسى من قومه ومعهم أيضاً الوراثة لليبيين الذين استوطنوا الدلتا الغربية نتيجة للجفاف الذي أصاب جنوب وشرق البحر المتوسط (مشرق الأرض ومغربها) أولئك الذين لم يخرجوا مع موسى من مصر كما يدعي كتبت الرواية التوراتية ـ وبدليل الآية القرآنية.

(فأتبعوهم مشرقين) (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون)[72] والآية الأخرى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون) (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) (وإنهم لنا لغائظون) (وإنا لجميع حاذرون) (فأخرجناهم من جنات وعيون) (وكنوز ومقام كريم) (كذلك وأورثناها بني إسرائيل)[73].

ومن سورة الدخان (كم تركوا من جنات وعيون) (وزروع ومقام كريم) (ونعمة كانوا فيها فاكهين) (كذلك وأورثناها قوماً آخرين)[74].

يلاحظ في سياق الآية التي تصف الهروب (قال أصحاب موسى) وكلمة أصحاب تردف دائماً إلى العدد القليل من القوم ـ الذين اتبعوا موسى (عليه السلام)

---

[70]- القرآن الكريم- الأعراف- 130.

[71]- القرآن الكريم- الأعراف- 135-137.

[72]- القرآن الكريم- الشعراء- 60-61.

[73]- القرآن الكريم- الشعراء- 60-61.

[74] القرآن الكريم- الدخان- 25-27.

وكما ستلاحظ من قول فرعون أيضاً (أن هؤلاء لشرذمة قليلون) وبذلك أشارت إلى العدد القليل الخارج من مصر مع موسى وبخلاف الرواية التوراتية التي تتحدث عن أكثر من مليون خارج- ولعل عبارة (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) ثم عبارة (كذلك وأورثناها قوم آخرين) إنما يدل ذلك إلى سكنى الباقين من بني إسرائيل والأقوام الأخرى ومنهم الليبيون والنوبيون دلتا النيل الشرقية والغربية ومن الذين لم يخرجوا مع موسى إلى سيناء ـ والله أعلم.

الباقون في الفردوس المصري بعد غرق فرعون وهلاك قومه هم الذين نشروا الديانة الموسوية الهدائية ـ غير الوراثية ـ في شمال إفريقيا وبلاد البربر اللذين عبروا في القرن الثالث الميلادي مضيق جبل طارق إلى إسبانيا ومنها إلى أرجاء أوربا ونشروا الموسوية الهدائية هناك قبل اعتناقهم للإسلام والذين هم من أجداد القائد الفذ طارق بن زياد- أولئك الذين اتبعوا الديانة الهدائية (المتهودون) لا علاقة لهم ببني إسرائيل ولا تربطهم بهم أي رابطة عرقية إثنية أو لغوية وهم لا يشكلون شتاتاً من اليهود الذين تهودوا في أوطانهم المختلفة.

هذا الشتات الذي لم يحصل أبداً- شأنهم في ذلك شأن يهود مملكة خازاريا الواسعة التي تهود ملوكها بعد وثنيتهم في القرن السابع للميلاد والذين نشروا الديانة اليهودية في كل أنحاء أوربا الشرقية والغربية بعد دمار مملكة الخزر الكبيرة هؤلاء المتهودون هم الذين يحكم أحفادهم اليوم دولة إسرائيل الصهيونية على حساب الفلسطينيين العرب بمسيحيهم وموسويهم ومسلميهم ورثة التاريخ الفلسطيني الكنعاني بكل تفاصيله وديانته وحضارته العربية والمشرقية التي أورثها للعالم ثقافة إنسانية متعددة وحضارة متسامحة.

الجدول التاريخي

1. دخول إبراهيم إلى فلسطين كنعان 1800 ق.م تقريباً
2. زيارة إبراهيم إلى دلتا النيل المصرية ونزوله ضيفاً على الملوك والرعاة العرب 1752 ق.م تقريباً.
3. حكم (الهيكسوس) العموريين الكنعانيين الآراميين للدلتا المصرية 1785 ـ 1575 ق.م تقريباً.
4. ترحيل يوسف إلى دلتا النيل المصرية 1675 ق.م تقريباً
5. حكم فرعون ـ أمنحتب الرابع (أخناتون داعية التوحيد ـ الأسرة 18 ـ 1364 ـ 1347 ق.م تقريباً.
6. خروج أصحاب موسى من قومه من الدلتا إلى سيناء 1245 ـ 1275 ق.م تقريباً.
7. إقامة بني يعقوب إسرائيل في الدلتا 430 سنة توراتياً ـ من 1675 ـ 1254 ق.م تقريباً.
8. بقاء موسى في مصر بعد انتهاء حكم فرعون الموحد أخناتون لأكثر من 100 عام .

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. العهد القديم ـ طبعة بيروت ـ دار المشرق 1989.
3. مجلة الأمل ـ فصيلة صيف عام 2009 دمشق ـ دار طلاس.
4. مصر أصل الشجرة ج-1- سيمون نايوفيتس- مكتبة الشروق- القاهرة
5. التوراة مكشوفة على حقيقتها أ. د إسرائيل فلنكشتاين- دار الأوائل- دمشق.

استند في هذا البحث إلى التوراة المكتوبة وإلى عدة نسخ مختلفة بين أيدينا اليوم تحت اسم الكتاب المقدس (العهد القديم) مع عدم قناعتي بصحة الكثير مما جاء فيه من مغالطات وتبديلات وتأويلات متضاربة ـ واستند أيضاً إلى مراجع مهمّة للعديد من الباحثين والمختصين بالشأن الكتابي وإلى وثائق مكتشفات إيبلا وأوغاريت وقمران ونجع حمادي وإلى رسائل العمارنة والآثار المصرية القديمة والأرشيف الموثقة تاريخياً وإلى المقارنة بالقرآن الكريم والإنجيل المقدس.

كنت قد أسهبت في قصة إبراهيم الخليل وجذوره العربية الآرامية وبأنه قرآنياً كان مسلماً حنيفاً موحداً وما كان يهودياً ولا نصرانياً لأن حقبة إبراهيم تنتمي إلى ما قبل نزول التوراة والإنجيل تاريخياً وهو لم يكن أيضاً مشركاً بل محطماً لأصنام أبيه ـ ومن الناحية التاريخية نسأل من هم بنو إسرائيل ومن أين أتوا إلى فلسطين؟!!.

في البداية هاجر إبراهيم من بلاد الرافدين ويقال لها (أوركلدان) في تجاهل متعمّد لتاريخ ماري وبابل والتي هاجر إليها من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها عرب (العموريين) في بداية القرن الرابع والعشرين (ق.م).

يذكر الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ (قلنا فيما تقدم أن العموريين العمالقة انتشروا في بداية هجرتهم من جزيرة العرب في أواسط سوريا ولبنان ثم امتدوا غرباً إلى فلسطين وأسسوا هناك عدة دويلات أهمها دولة (عمورو) التي إتخذت بلدة ماري على نهر الفرات عاصمة لها إلا أن أكثر دويلاتهم ومن ضمنها عاصمتهم (ماري) ضمت إلى إمبراطورية سرجون الأكادية في القرن الرابع والعشرين (ق.م) ولكنهم عادوا فأسسوا بعد سقوط الإمبراطورية الأكادية في القرن الرابع والعشرين عدة دويلات في وادي الرافدين حتى تمكنوا في أوائل القرن التاسع عشر ق.م من تأسيس مملكة موحدة حكمت أكبر أقطار الشرق الأوسط وعرفت مملكتهم بالمملكة البابلية القديمة كما عرفت سلالة ملوكها بسلالة بابل الأولى وتنتمي هذه السلالة إلى الموجة العربية الثانية (هجرة العموريين العمالقة) واشتهر من بين ملوكهم الملك حمورابي الشهير وهو الملك السادس لهذه

الدولة وحكم (42 سنة) بين (1792-1750 ق.م) وأعظم ما خلده مجده وإطار شهرته (شريعته العظيمة)[75].

إن عصر إبراهيم يرجع بأصوله وتوحيده إلى الجزيرة العربية وقبائلها الأم بعد العرب البائدة (عاد) كما أن الإله المعبود لإبراهيم (إيل) هو إله يختلف تماماً وحتى بالقدم تاريخياً عن إله اليهود المتبنى (يهوه) ومن هنا كانت تسمية حفيده يعقوب (بإسرائيل) (عبد) (طفل) (خادم) للإله.

ويقول السيد فيلبي الباحث التاريخي ففي بعض الألواح التي عثر عليها المنقبون في منطقة بابل ما يوضح جلياً أن هناك ثلاثة ملوك يؤلفون سلسلة بابلية قد حكموا بعقيدة التوحيد إلا أن الوثنيين أسقطوا الملك الثالث ونفوه من البلاد- ولو تفحصنا ما ورد في المدونات البابلية وفي كتابات التوراة لوجدنا أدلة كافية على أن الملك إن هو إلا إبرام (إبراهيم) الذي غادر بابل وتوجه إلى فلسطين وذلك بعد سقوط السلالة الموحدة المذكورة وإن أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة هي أسماء عربية سامية مقترنة بصلة الإله الواحد فاسم الأول (إيلوم-إيلوم) (iluma-iluma) ومعناه (هو الإله الواحد أما الملك الثاني فاسمه (آيتي إيل نيبي) (nibi - ittilli) ومعناه (اللّه حسبي)[76].

بناء على هذه المعلومات التاريخية الآثارية نلاحظ أن تسمية إبراهيم لولده البكر من السيدة هاجر كان مقروناً باسم الإله إيل (أسماع ئيل) (سمع الإله) وتأكيداً على ذلك أيضاً ففي مصارعة الإله المدعاة مع يعقوب قال له لم يعد اسمك يعقوب بل (يسرائيل)- لم يكن الاسم (يسرا يهوه مثلاً) يكون الإله إيل الواحد (الأيلو هيمي) الإبراهيمي وهو غير الإله المدعى (اليهوي).

بعد الانقلاب على الأليوهية من قبل (اليهوية) أو اليهودية اللاحقة ومن هنا يلاحظ بوضوح وجود إلهين مختلفين وجماعتين مختلفتين وخطابين متناقضين ضمن الرواية التوراتية المكتوبة في بابل العراق.

من التوراة التكوين يهرب يعقوب وزوجته من خاله لأبان الآرامي الوثني بعد أن سرقت ابنته زوجة يعقوب أصنامه باتجاه شرق الأردن ويعبر النهر إلى فلسطين

---

[75]- العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، ص. 202-203.

[76]- HS. T Philiby, The Back Ground of Islam, 1947, pp. 10-11.

(وبقي يعقوب وحده فصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى الله أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال (أطلقني لأنه قد طلع الفجر- فقال لا أطلقك إن لم تباركني- فسأله ما اسمك- فقال يعقوب- فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسراءيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت- وسأله يعقوب (أخبرني باسمك لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك)[77]. (الإله التوراتي يصارع إنسان مخلوق منه فيغلبه قال (صارعت الله والناس وقدرت) يرجوا الله هنا مخلوقه وعبده أن يطلقه لأنه قد طلع الفجر وكان الله ليس هو نور السموات والأرض والإله القادر ثم يسأله عن اسمه- أليس الله بعالم الغيب وبأسماء مخلوقاته- فكيف يجهل اسم يعقوب؟.

هذا المقطع والوصف يحمل في طياته التناقض الفكري ويشير إلى الصراع الأيليوهيمي اليهودي فيقع النص في الوسط ما بين الاثنين- فالإله والتسمية اليوهيمة- إله إبراهيم إيل والتكني به عبر اسم (يسراءيل) أما الفعل فهو لإله المصارع وهو يهوي- يقوى عليه يعقوب فلا يطلقه حتى يباركه يرجوه إله (يهوه) أن يطلقه لأنه قد طلع الفجر ثم يسأله عن اسمه الذي يجهله هذا الإله.

أن ما يقول المؤرخون والباحثين والكتابيون أن يهوه هو إله البراكين وهو الإله الغاضب الذي يخشى النور ولا يظهر إلا ليلاً وهو الإله المتبنى من قبل أقوام سواحل وجبال البحر الأحمر يقول فرويد (لقد كان يهوه بالتأكيد الإله البراكين- والحال أن ما من أحد يجهل أنه لا وجود للبراكين في مصر وإن جبال شبه جزيرة سيناء لم تكن قط هي الأخرى بركانية وبالمقابل نرى السواحل الغربية لشبه الجزيرة العربية تذبل بالبراكين كانت ناشطة لحقبة طويلة من الزمن ولا بد أن أحد هذه الجبال كان حوريب المعروف باسم جبل سيناء الذي قيل إنه كان مقام يهوه- وبالرغم من التطور الطارئ على النص يسعنا طبقاً لرأي ماير أن نعيد بناء صورة الإله- فهو شيطان مشؤوم ودموي ويجوس ليلاً ويخشى ضوء النهار)[78].

---

[77]- توراة تكوين- 32-25-30.

[78]- سيغموند فرويد- موسى والتوحيد- ص.45-46.

بالطبع نحن هنا نناقش هذه الرواية استناداً للتوراة مع قناعتنا أنها خرافية في بعض قصصها- يتوقف هنا رأي العالم النمساوي اليهودي فرويد مع العالم الألماني ماير حول عبارة أدعي أنه أطلقها يهوه ليعقوب (أطلقني فقد طلع الفجر) هذا ما يوكد أن الرواية تحمل قيماً سلبية تسوق للأسطورة وليس انتماء إلى كلام يفترض أن يكون (كلمة الله المقدسة)؟!!.

سنأخذ الإجابة من التوراة والشق الأليهويمي منها ومن القرآن الكريم ومن الإنجيل المقدس أيضاً.

توراة- تثنية (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد فتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك)[79]. ومن القرآن الكريم (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)[80] وفي إنجيل يوحنا (يقول المسيح (والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي- لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته- وليس لكم كلمة ثابتة فيكم- لأن الذي أرسلني لستم أنتم تؤمنون به)[81].

بعد ألف عام من الزمن على هذه الواقعة والمدعاة يحاول النبي هوشع في العهد القديم تعديل مفهوم القصة لتتناسب مع روح العصر ومفاهيمه وبعد تبني الأنبياء أرميا وأشعيا وحزقيال مفهوم الإله الواحد الرب وسوف نلاحظ هذا التغيير في النص ونطلع على الغاية المتوخاة من هذا التعديل والتغير الجوهري عليه.

العهد القديم- سفر هوشع (في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله- جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه- وجده في بيت إيل وهناك تكلما معاً والرب إله الجنود يهوه باسمه)[82].

لا نعلم هنا من الذي بكى واسترحم هل هو الإله يهوه أم يعقوب- ويلاحظ أيضاً أن النبي هوشع يدين يعقوب على إعماله (من البطن أخذ مكان أخيه في

---

[79]- توراة- تثنية- 16-6-4.

[80]- القرآن الكريم- البقرة 133-134.

[81]- إنجيل يوحنا- 5-37-38.

[82]- العهد القديم- هوشع- 12-3-4.

شبابه قارع الله وقاومه)- وعندما نعود إلى المقطع السابق من النص نجد التالي (للرب دعوى على يهوذا- وعقاب على يعقوب- بحسب طرقه فعلى حسب أعماله يرد عليه)[83] وهي إشارة متأخرة إلى غضب الرب على المملكة الشمالية إسرائيل وعلى المملكة الجنوبية (يهوذه) على أفعالهم وارتدادهم عن عهده معهم- ويخص بهذه الإدانة يعقوب يسراءيل ذلك لأنه من أبناء وذرية إسرائيل وبني إسرائيل ظهرت مملكة يهوذا- أورشاليم- وظهرت معها اليهودية.

سفر هوشع (إذا كان جلعاد إثماً فليسوا هم سوى باطل في الجلجال ذبحوا ثيراناً ولذلك مذابحهم كوم من الحجارة على أتلال الحقول- هرب يعقوب إلى حقل آرام وخدم إسرائيل لأجل امرأة ولأجل امرأة رعى القطيع وعن يد بني).

إقحام جلعاد هنا تحت وصف (إثماً) وهو المكان الذي غيب فيه النبي موسى وموته الغامض من هنا كانت بداية الارتداء من الإسرائيلية إلى العبرانية واليهودية وتبني الإله يهوه- وقد يكون هذا الوصف تمهيداً لارتداد النبي هوشع نحو مملكة يهوذا ويوقع الملامة والذنب على إسرائيل كقبيلة بذنب يعقوب في حين إن نص التكوين لا يتحدث عن البكاء والاسترحام؟!!.

بعد مصارعة يعقوب للرب يسمى مكان هذه المصارعة المدعاة (فنيئل) تكوين 22-30 (فدعا يعقوب اسم المكان فنيئل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه) وهو قول توراتي يلاحظه السيد المسيح في الإنجيل) يوحنا -5-37-38- ومن الرواية التوراتية نعلم أن يعقوب أعقب أخيه عيسو بالولادة لذلك سمي يعقوب لأنه أمسك بعقب أخيه البكر في الرحم قبل الولادة ثم خدعه واشترى منه بكوريته بطبق من العدس الأحمر عندما كان مشرفاً على الموت جوعاً ثم خدع أبيه إسحق بالتآمر مع أمه رفقة منتحلاً شخصية أخيه عيسو كي يباركه أبيه إسحق على أنه البكر عيسو ويأخذ البركة من أخيه البكر أيضاً هذا بحسب ما تقول الرواية التوراتية ذاتها؟.

[83]- العهد القديم، هوشع، 12-3-12-14.

كانت تسمية يعقوب (يسراءيل) كنبي تسمية روحية آرامية كنعانية لا علاقة لها بوطن قومي ولا بشعب مميز عن شعب الأرض ولا بأرض الميعاد لإسراءيل وهو من سكانها ورعاياها ولم يكن خروجه منها هو وأولاده إلا نتيجة لتآمر أبنائه على أخيهم يوسف الصديق فلماذا تم جعل قصة الاضطهاد والخروج لإدعاء شعب الرب وأرض الميعاد وهم الذين حلوا ضيوفاً مكرمين فيها بوجود النبي إبراهيم؟! يقول العالم فرويد (والنص التوراتي الذي بين يدينا يحتوي على معلومات تاريخية مفيدة بل لا تقدر بثمن- ولكن هذه المعطيات التاريخية حرفت بفعل مؤثرات ودوافع قوية- وجمل شعرية- لقد أتاحت لنا أبحاثنا الحالية أن نخمن طبيعة واحدة من الميول المحرفة وهذا لاكتشاف يدلنا على الطريق. الواجب إتباعه- وبحثنا في الوقت نفسه على تحري مؤثرات محرفة مماثلة أخرى وإذا اكتشفنا الوسيلة لنعرف التحريفات الناجمة عن هذا الميول فسنتوصل إلى تسليط الضوء على عناصر أخرى من الحقيقة. هذه الحقيقة هي دافعنا الرئيسي وهذا البحث والأبحاث الأخرى لذلك نحاول تسليط الضوء على عناصر أخرى قد تكون غائبة أو مغيبة عمداً)[84].

ومن أهم هذه العناصر من وجهة نظرنا هي تحديد تاريخ نشوء هذه العناصر وجغرافيتها خاصة وأن المحرفين الكتبة تعمدوا تغيب الحقائق أو رتق الفجوات داخل النص عبر التفسير المسيس تحت زعم قدسية النص ومن الأمثلة الدالة على ذلك هي ربط جماعات بأخرى لا تمت لبعضها من حيث الإثنية والتاريخية والجغرافيا أيضاً بأية صلة تذكر فالخلط ما بين العبرانيين وبني إسرائيل واليهود ليشكلوا معاً شعباً مختاراً وهو محض افتراء على الحقيقة التاريخية والجغرافية والعروق الإنسانية بل وعلى الحقيقة التي تدل عليها مجموعة كبيرة من الآثار الباقية والرقيمات والسجلات والمنحوتات ورسائل العمارنة والموثقة والمحفوظة في جميع المتاحف العالمية.

إن كنت أتفق مع الكثير من الباحثين الكتابيين في بحوثهم المتعددة إلا أني لا أتفق على سبيل المثال مع العالم فرويد حينما يكرر عبارة الشعب اليهودي وينسبها إلى ما قبل ظهور اليهود إلى الوجود؟!.

---

[84]- العالم فرويد، موسى والتوحيد، ص. 56.

إن وجود اليهود أو اليهودية يعود للقرن العاشر قبل الميلاد حين سميت القدس بـ (يهوذا) وسميت أيضاً (السامرة) نسبة إلى مملكة إسرائيل الشمالية في السامرة (سبسطية) من هنا جاءت تسمية (يهوذا والسامرة) وادعاءات المفاوضين الصهاينة خلال المفاوضات مع أرباب السلطة الفلسطينية عندما يتعلق الأمر بالمستوطنات غير الشرعية بأنها أرض (يهوذا والسامرة).

أولئك الناطقين بلسان الأموات التوراتيين الذين اندثروا قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام مضت متناسين الأحياء من المواطنين الذين يعيشون على أرض فلسطين التاريخية أو في المنافي القسرية من العرب الفلسطينيين مسيحيين ومسلمين والذين لهم الحق في المطالبة بدولة المستقبل الدولة العلمانية دولة لجميع المواطنين المتوجودين على الأرض وليس دولة الأموات (الدولة اليهودية).

في القصص القرآني نجد كل المكرمات والأوصاف القدسية بحق أنبياء بني إسرائيل وبخلاف التوراة ونجد كذلك كل اللعنات والزجر للموبقات التي ارتكبها ما سمي (باليهود) وفي وقت لا نجد فيه أثر لكلمة العبرانيين؟

القرآن الكريم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك أن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون)[85].

القرآن الكريم يضع هنا النقاط على الحروف- فالمسيح (ع) جاء رسولاً من بني إسرائيل يعلمهم التوراة الصحيحة والإنجيل ويحل لهم ما حرم عليهم ويصوب المسيرة نحو الإيمان الشامل الإنساني نابذاً الدعوة القبلية والانغلاق العشائري والدين الخاص ويدعو للمحبة والتسامح ونبذ المملكة المادية الأرضية فكفر به من كفر منهم واتبعته الفئة الصالحة من بني إسرائيل فأصبحوا نصارى والبقية الباقية تحالفت مع الغزاة الرومان وتآمرت على رسول المحبة عيسى المسيح (ع) وقتله واضطهاد أتباعه وتلاميذه ومارست القذف بحق سيدة نساء العالمين (السيدة مريم العذراء)- القرآن الكريم (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم

[85]- القرآن الكريم، المائدة، 82-83.

من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)[86].

الآية تشير إلى ما جاء في الوصايا المحرفة عما جاء به النبي موسى (لا تقرض أخاك بربا للأجنبي أقرض) (لا تأكل لحم ميتة بل تعطيها للغريب)- أي أنه يجوز لليهودي السطو على مال وأرض وعرض وصحة غير اليهودي (الأميين- الغويم) فالله لا يحاسب اليهود على ارتكاب هذه الموبقات وسيأتي تفصيل وشرح ذلك في هذا الفصل تباعاً.

لقد ميز الله تعالى بين إسرائيل والنصارى الذين يحفظون الأمانة والحقوق وما بين اليهود المنقلبة على ديانة موسى والذين لا يحفظون الأمانة ولا يؤدون الحقوق لغير اليهود؟؟.

ولعل ما يقوله المؤرخ الألماني البرييشت البرت حول بني إسرائيل والعبرانيين واليهود اللاحقة يثبت بالقول (عن وجود جماعة بدوية إسرائلية مميزة من رعاة الصحراء القريبة من كنعان- وهاجرت هذه الجماعة شيئاً فشيئاً وبطريقة سلمية إلى المرتفعات الكنعانية قبل أن يلحق بها العبيد الفارون من مصر وغيرهم من الجماعات وهو الذي أقام الأمة الإسرائيلية في كنعان الأردن).

المؤرخ البريست ألبرت (1883- 1956) وكتابه (مقالات عن تاريخ وديانة العهد القديم)- نحن وإن كنا مع استنتاج العالم الألماني بالتميز بين إسرائيل كقبيلة وبين العبرانيين والعبيد الفارين إلا أننا لا نتوافق معه في وصف للإسرائيليين (الأمة الإسرائيلية) لأن من مقومات الأمة- وحدة التاريخ والأرض والتراث واللغة المشتركة وهذه الشروط الضرورية لقيام الأمة ولا تتوافر لقبيلة مرتحلة لتحل ضيفاً في أرض شعوب أخرى.

تقر التوراة أن أرض فلسطين- كنعان هي أرض غربة إبراهيم وفي مقاطع أخرى تعود للحديث عن تغرب إبراهيم من كنعان إلى أرض مصر (أرميا تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك) تقول التوراة حرفياً إن يعقوب عاش في فدان آرام عشرين عاماً وأن أبناءه الإثني عشر قد ولدوا هناك.

---

[86]- القرآن الكريم، آل عمران، 75.

توراة تكوين (وكان بنو يعقوب اثني عشر: بنوليئه روابين بكر يعقوب وشمعون ولأوي ويهوذا ويساكر وزوبلون وأبناء راحيل يوسف وبنيامين وأبناء بلهة جارية راحيل دان ونفتالي وأبناء زلفة جارية ليئه جاد وأشير هؤلاء بني يعقوب الذين ولدوا في فدان آرام)[87].

يلاحظ أن جميع بني إسراءيل يعقوب قد ولدوا خارج فلسطين ولم يكونوا من سكان كنعان فلسطين التي كانت أرض غربة ثم استيطان بين السكان الأصليين ثم ارتحلوا مع أبيهم إسراءيل طوعاً منها إلى أرض مصر وبمكيدة من إخوة يوسف حتى أن المصريين كانوا يصفون بني يعقوب بالكنعانيين البدو وتقول التوراة إنهم وبما فيهم أبناء يوسف المصريون لم يتجاوزوا السبعين نفساً رغم أن التناقض التوراتي حول هذا العدد.

توراة التكوين- (فجميع النفوس الذين ليعقوب والقادمين والخارجين من صلبه سوى نسوة بنيه ستة وستون نفساً وأبناء يوسف الذين ولدوا له في مصر نفسان- فجميع النفوس الذين من بيت يعقوب والذين دخلوا مصر سبعون نفساً)[88].

هنا أن كان المقصود بالستة وستين نفساً تعداد يعقوب والخارجين من صلبه إضافة إلى يوسف وبنيه منسي وأفرام فإن العدد يكون تسعة وستين وليس سبعين نفساً؟ في هذه الحالة من هي النفس السبعون ؟!!.

هل هي ابنة يوسف التي يتنكر لها آل يعقوب كما تمنع يعقوب بقول التوراة من إعطاء البركة لولدي يوسف منسي وأفرام إلى أن شعر بقرب المنية فباركهم مكرهاً وقدم الصغير على البكر كما فعل هو بخداع أبيه إسحق ليحصل على بركته بدلاً من أخيه البكر عيسو في تكرار للقصة ذاتها؟!!.

أسنات المصرية زوجة يوسف ولدت ذرية مصرية خالصة وبحسب الفهم الإسرائيلي أو اليهودي فان الولاية والنسب إلى الأم وعليه يكون أبناء يوسف مصريين وليسوا عبرانيين أو إسرائيليين.

---

[87]- توراة، تكوين، 41-5.

[88]- التوراة، تكوين، 46-36.

هل أصبحت ابنة يوسف (تا- أو تاي) ملكة على مصر بزواجها من الفرعون أمنحتب الثالث الأسرة الثامنة عشرة ومن ثم أصبحت أماً للأمير أخناتون داعية التوحيد للإله الواحد أو أنها خالته زوجة أبيه أمنحتب الثالث ولذلك كانت طلبات يوسف الصديق مجابة وأصبح وزيراً على خيرات مصر وخزائنها وقواماً على بيت وأملاك الملك!!.

هذه مجرد فرضية لكنها تضع الكثير من علامات الاستفهام على الحقيقة التوراتية بل على التاريخ المصري بنفسه.

إن العودة إلى بحث التناقضات داخل النص الكتابي ودراسة ما يكتبه الباحثون في هذا الشأن يدفع باتجاه تغليب هذه الفرضية وهذا الاستنتاج- حتى بعض النصوص التوراتية نفسها تضع هذه العلامات عليها وعلى ما كان يدور خلفها- لقد حاول العالم النفسي سيغموند فرويد الإشارة إلى هذا الموضوع أو على الأقل الدوران حوله.

(كان من الطبيعي أن يزداد انفتاح مصر على المؤثرات الأجنبية ما دامت حدود إمبراطوريتها قد توسعت وكان في عداد الزوجات الملكيات أميرات آسيويات ومن المحتمل أن تكون بعض المؤثرات التوحيدية السورية قد فرضت نفسها)؟![89] هناك إشارة واضحة في التوراة على تعمد إغفال الإناث لهدف ما- وما يؤكد ذلك النص التوراتي السابق الذي يقول (الذين ليعقوب والقادمين من مصر والخارجين من صلبه سوى نسوة بنيه)- من المعروف أيضاً أن الإله في الفرعونية لا يقبل الدخول في أجساد غير ملكية والذي يجعل من الفرعون مجسداً لإرادته عل الأرض (إرادة أمون) وعليه فإن زوجة الفرعون ستكون مرفوضة إن كانت من خارج السلالة الملكية ولا يمكن لابنها اعتلاء عرش مصر ولذلك وعلى ما أعتقد إن الملكة (تا- تاي) كانت مرفوضة جداً من قبل كهنة معبد أمون وكانوا في موقع التآمر على الملك- ومن ثمة على خلفه من بعده أمنحتب الرابع أخناتون وقد تم الانقلاب عليه والعودة إلى ديانة كهنة أمون ونضيف هنا معلومة تقول أن اسم الإله في مناطق

[89]- العالم فرويد، موسى والتوحيد، ص. 29.

عديدة من البلاد السورية- وبالإضافة إلى إيل- (وبعل) كان هناك اسم (تا) أو (تاي) اسم الإله التي تمثله باسمه الكثير من البلاد والقرى- (جبب اتا) (حرس تا) مصر اتا) (صافي تا)... إلخ.

من هنا كان تلميح فرويد إلى أميرة سورية فرضت المؤثرات التوحيدية على التوحيد المصري الأحق (توحيد أخناتون) ومن المعروف أن كل من يتجاوز حدود سيناء إلى مصر يقال لهم (سوريون أو الشوام).

توراة تكوين- يوسف لإخوته (فقال يوسف لإخوته تقدموا إليَّ- إن أخوكم يوسف الذي بعتموه إلى مصر- والآن لا تأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا- لأنه استبقاء حياة أرسلني الله قدامكم فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله وهو قد جعلني أباً لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطاً على كل أرض مصر)[90] ندقق في الآية القرآنية التالية (ربي قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث)[91] ومن سورة المائدة أيضاً (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين)[92].

إنه ملك وسلطان وسلطة على خزائن الأرض في الفردوس المصري وأبوة على أمنحتب الثالث والد الفرعون (أخناتون) الداعية للإله الواحد خالق الكون- ولكن عبارة (وجعلني أباً لفرعون) يحب التوقف عندها ملياً.

في بلاد الشام وفي المشرق العربي والذي ينتمي يوسف الصديق إليه- يعتبر الصهر زوج الابنة ابناً جديداً للعائلة وينادي حموه أبا زوجته بقول (يا ابني) فكيف يكون يوسف أباً للفرعون بقول التوراة إن لم يكن قد صاهر الفرعون الملك؟!- الباحث سيمون نايوفيتس يزودنا بمعلومة مصرية قديمة دون أن يتطرق لهذا الموضوع مما يفيد البحث في هذه النقطة بالذات (تطلعنا المصادر العديدة على خبايا عصر العمارنة واللاهوت الأتوني- وأهم المصادر هي النقوش والأناشيد والأدعية لأمون وأخناتون في العديد من مقابر كهنة أمون والكتبة والموظفين- وعثر على أكبر قدر

---

[90]- توراة، تكوين، 45-4-9.

[91]- القرآن الكريم، يوسف، 101.

[92]- القرآن الكريم، المائدة، 20.

من النصوص في مقبرة أي) المنحوتة في الصخر التي لم تكتمل في أخناتون (TA25) وكان بناؤها قد بدأ بالعام السادس بعهد أخناتون- وكان أي (قائد خيل جلالته كافية) وشى (كاتب) وكاهن و(أبا الإله)- لقب في المعبد يمنح أحياناً لحمى الفرعون- ربما كان والد نفرتيتي وبعد ذلك أصبح على التوالي وزير توت عنخ أمون ثم الفرعون (ج 1323 ق.م))[93].

هذه المعلومة الأثرية قد تساعد على فهم ما ورد في التوراة من قول ليوسف (وجعلني أباً للفرعون) لكن لا بد من مراجعة العديد من المصادر التاريخية والآثارية والمكتشفات مع الجهد المضني للوصول إلى الحقيقة ويبقى الأمر مجرد فرضية تحتاج إلى إثبات إن وجد فسوف يطيح بالعديد من التحريفات التوراتية.

سكن يوسف وأبوه وإخوته في أجود أرض مصر وكان الفرعون سخياً وكريماً معهم وجعل من يوسف أميراً متسلطاً على كل خيرات مصر وكنوزها- توراة- تكوين (وبارك يعقوب فرعون وخرج من لدن فرعون فأسكن يوسف و أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل أرض في أرض رعمسيس كما أمر فرعون)[94] ثمة سؤال مهم هنا- سبعون نفراً وإقامة في مصر لبني إسرائيل لما يقرب من خمسة قرون (430 سنة) على حد قول التوراة وفي عهد الهيكسوس العموريين والآسيويين وإلى ما بعد عصر أخناتون لأكثر من مئة عام.

ألم ينصهر بنو إسرائيل في المجتمع المصري؟!! خاصة إن يوسف نفسه قد تزوج من أسنات المصرية وأصبح له ذرية مصرية منها؟

وجود ديانة يوسف الصديق وتوحيد الفرعون أخناتون المستوحى من ديانة إبراهيم بالوحدانية لله وهذا الملك والجاه والكرم المصري الملكي ألم يكن حافزاً مشجعاً لقبيلة غير مستقرة في أرض غربتها لتنصهر وتذوب في المجتمع المصري. لقد وضعت التوراة عذراً لا يبرر أبداً هذه الأسطورة وهذا التغيير.

توراة خروج (ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف- فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا- هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون

---

[93]- نايوفيتس مصر أصل الشجرة،ج. 1، ص.ص. 178-179.

[94]- التوراة، تكوين، 47-10.

إذا حدثت حرب معها أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون في الأرض- فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بإثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس)[95].

هل كان اختلاط بني إسرائيل بالعبرانيين العبيد وبقايا الهيكسوس من أحد الأسباب التي أدت إلى انقلاب بني إسراءيل على مصر واعتبارها دار للعبودية؟!

أم أن قصة الخروج هي أسطورة مقتبسة من قصة خروج الهيكسوس وطردهم من مصر الشمالية أم أن الروايتين هما رواية واحدة؟!.

لنرى ما يقوله الدكتور إسرائيل فلنكشتاين من جامعة تل أبيب في كتابه مع الأميركي اليهودي سلبرمان (التوراة مكشوفة على حقيقتها) في هذا الشأن (لكن هناك تشابه أكثر صدقاً بين قصة الهيكسوس والقصة الكتابية للإسرائيليين في مصر على الرغم من الاختلاف الحاد في اللحن ويضيف مانيثيوا انتهاء احتلال الهيكسوس وقتل العديد منهم- وتابع فلولهم ملك مستقيم إلى حدود سوريا في الحقيقة ذكر مانثيوا بأن الهيكسوس بعد طردهم من مصر قاموا بتأسيس مدينة أورشاليم وبنوا هناك معبداً. هناك معبد مصري يعود للقرن السادس عشر ق.م- موثوق أكثر بكثير من كل ما سبق يقص مآثر الفرعون أحمسيس من السلالة الثامنة عشرة- ذكر أنه استباح مدينة أفاريس وطرد منها فلول الهيكسوس إلى حضبهم الرئيسي- شاروحين جنوب كنعان قرب غزة ثم اقتحمها وفتحها أيضاً بعد حصار طويل وفي الحقيقة حوالي منتصف القرن السادس عشر ق.م هجر تل الدباس مسجلاً نهاية مفاجئة للتأثير الكنعاني هناك- إذن فالمصادر التاريخية الأثرية تخبرنا هجرات السامين من كنعان إلى مصر ومن مصريين يطردهم بالقوة هذه الخلاصة الأساسية للهجرة والعودة إلى كنعان تتوازى مع القصة الكتابية للخروج الجماعي ويبقى هناك سؤالان رئيسيان- الأول من هم أولئك المهاجرون الساميون والثاني كيف يتطابق تاريخ زيارتهم لمصر حسب الترتيب التاريخي الزمني للأحداث التوراتية؟![96].

---

[95]- التوراة، خروج، 1-8-11.

[96]- إسرائيل فلنكشتاين، التوراة مكشوفة على حقيقتها، ص. 89-90.

ما هو دور العبيد العبرانيين والنوبيين والكوشيين والجنود الفارين في قصة الخروج أولاً ثم في قصة الانقلاب على النبي موسى وديانته والتحول نحو ديانات وثنية قبلية خاصة ومنغلقة على ذاتها ومن ثم ظهور صراع مرير بينهم وبين بني إسرائيل أدى هذا الصراع لظهور هذه الاختلافات وإلى ظهور لما بين أيدينا من التوراة المتناقضة وذات الوجهين والتي تحمل في بعض فصولها ونصوصها بعضاً من كتاب موسى لكنها أبداً ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى وكما يعلمها السيد المسيح (ع) ومن بعده الرسول محمد (ص).

في هذا الصدد يقول الدكتور أحمد سوسة رحمه الله في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) (من الواضح أن أهم ما كان يهدف إليه كتبة التوراة عندما أخذوا بتدوينها بعد عهد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمئة عام- وبعد عهد موسى بسبعمئة عام هو إرجاع نسب بقايا الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة النبي موسى ومدونو التوراة هم أنفسهم بقايا هذه الجماعة إلى إبراهيم الخليل بغية إرجاع أصلها المجهول إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية- ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة (الوهمية) على لسان إبراهيم وموسى وهما بريئان منها- واندفاعاً وراء تحقيق هذا الهدف ربط مدونو التوراة صلة هذه الجماعة مباشرة بإبراهيم الخليل وبحفيده يعقوب (يسراءيل) لكي ترفع مكانتها بين البشر وتجعل منها (الشعب المختار))[97].

من الواضح أن الفرعون أخناتون قد أخذ بمصر الإمبراطورية وذات المصالح المتعددة خارج حدود الدولة إلى العالمية والتعاون الإقليمي ونظام الحماية ضارباً بكل القيم الفرعونية التي كانت تتحدث عن الشعب الوحيد والأرض والدولة المقدسة- هذه السياسة كانت تناسب المستوطنين من بني إسرائيل والذين تحولوا من ضيوف إلى مواطنين مستقرين في ظل نظام عادل ومتسامح وتوحيدي ومن يقرأ بتمعن الأناشيد الكبرى لأخناتون سيجدها تضاهي ما أتت به الوصايا العشر وتضاهي أيضاً أية تشريعات ونظم كانت قائمة في العالم بما فيها شريعة حمورابي الشهيرة-

[97]- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص. 525.

والسؤال هنا كيف يأتي ملك لم يكن يعرف يوسف وكأن التاريخ المصري قد انفصل عن بعضه بعضاً أو هكذا أرادوه خدمة لتبرير الرواية الكتابية المكتوبة- من المعروف جيداً أن موسى قد تربى في البلاط الفرعوني وليداً وتعلم وتثقف بكل علوم مصر وحكمتها- وخاض معركة شرسة سلمية بداية مع فرعون والملأ على أمل إعادتهم إلى ديانة التوحيد التي تعلمها وورثها من النبي يوسف ومن الموحد أخناتون.

القرآن الكريم (قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين)[98]- (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون)[99].

العهد الجديد (فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأفعال)[100]- جاء الفرعون الطاغية في عصر شباب موسى مرتداً عن ديانة التوحيد الأخناتونية وسخر جميع الموحدين بديانة التوحيد- مصريين وعبرانيين- ومن بني إسرائيل وكوشيين ونوبيين- سخرهم الفرعون بالأعمال الشاقة في المقالع والمحاجر عقاباً واحتقاراً لهم ولم يكن هذا العقاب مقتصراً على فئة دون أخرى ودليل ذلك ما جاء به القرآن الكريم.

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله- وقد جاءكم بالبينات من ربكم)[101] وفي آية أخرى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من كان مسرف مرتاب)[102].

من خلال الآية المذكورة تبدو لنا حقيقة ما ذهبنا إليه من أن رسالة موسى كانت رسالة توحيدية شمولية لا تختص بفئة معينة ولا هي إسرائلية أو يهودية وذلك

---

[98]- القرآن الكريم، الشعراء، 18.

[99]- القرآن الكريم، القصص، 9.

[100]- العهد الجديد، أعمال الرسل، 7-27.

[101]- القرآن الكريم، غافر، 28.

[102]- القرآن الكريم، غافر، 34.

من خلال الأمر الإلهي إليه وأخيه (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)[103] إن في هذه الدعوة إلى الرجوع عن الغيّ والتمسك بديانة التوحيد التي كانت سائدة قبله (لعله يتذكر أو يخشى) دليل واضح على الانقلاب على ديانة أخناتون وتوحيد يوسف الصديق وكلمة (يتذكر) تدل أيضاً على أن فرعون موسى هذا كان قد عاصر أحداثاً أو معجزات ولعله يخشى تكرارها أو الخروج عليها- فمن وجهة نظر أتباع ديانة التوحيد أن فرعون الردة قام بأعمال عدوانية وبتفرقة عنصرية كان الملك أخناتون قد حاربها وعمل على إلغائها ودليل ذلك في القرآن الكريم (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)[104].

نستنتج هنا أن هذا المؤمن المصري الذي يكتم إيمانه خوفاً قد استنكر هذا التمييز وهذه العبودية وأشار إليها (وجعل أهلها شيعاً) ما يدل على أن الطغيان بحق المؤمنين من أهلها كان عاماً فوصف أهلها أيضاً يدلل على انخراط بني إسرائيل والعبرانيين في المجتمع المصري- وهنا يجب التوقف والسؤال- ماذا لو أن الفرعون استجاب لدعوة النبي موسى وأوقف طغيانه وتمييزه وتسخيره على المصريين وعلى بني إسرائيل والعبرانيين- هل كان سيخرج موسى بهم من مصر إلى التيه والمنفى؟

إن كان الأمر كذلك نستطيع القول إن العبرانيين قد دفعوا بني إسرائيل إلى التمرد والرحيل رغبة منهم في استلاب ما سمي أرض الميعاد وشعب الرب والتآمر على رسالة موسى والعبث بها؟

يبدو أن موسى قد تمرد على طغيان الفرعون فخرج يقود غالبية من العبرانيين والنوبيين العبيد والكوشيين وقلة من بني إسرائيل عابراً بهم فرع نهر النيل (الفرع البلوظي) والمسمى توراتياً (نهر الشيحور) وهو قبالة رعمسيس وأرض جاسان حيث كان يسكنها كهبة من الفرعون الموحد- وهذا العبور قد تم جنوب بحيرة المنزلة ذات المياه المالحة المختلطة بمياه النيل وليس البحر الأحمر، وأسوق هنا هذه المبالغة التوراتية- خروج (فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستمئة ألف

---

[103]- القرآن الكريم، طه، 44.

[104]- القرآن الكريم، القصص، 4.

ماش من الرجال عدا الأولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواش وافرة جداً)[105].

لنلاحظ هنا ستمئة ألف من الرجال وعادة لا يذكر بنو إسرائيل النساء (عدد الأولاد) نحن نتحدث هنا عن أكثر من مليون من الخارجين- ستمائة ألف نصفهم معيل لعائلة لا يقل عدد نفوسها عن أربع أنفس.

(وصعد معهم لفيف كثير أيضاً)؟- وهذا اللفيف أيضاً ليس من بني إسرائيل بل هم في الحقيقة غالبية الخارجين من العبيد العبرانيين والنوبيين والكوشيين والجنود الفارين- وتتحدث الرواية هنا عن عدة ملايين من الخارجين في سنة (1230-1250 ق.م) تقريباً فإذا كان عدد سكان مصر بما فيها سيناء وكانت خارج حدود مصر وقتها وفي سنة 1958- لا يتجاوز (17 مليون) أي بعد أكثر من ألفي وتسعمئة عام فكم كان عدد سكان مصر الفرعونية بتاريخ الخروج؟!.

هل كان أكثر من عدة ملايين هذه السقطة الخيالية لكتبة التوراة إنما هي تلغي مبررات الخروج لفئة قبيلة في محاولة لتثبت قولهم في التوراة (وجاء ملك لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا) إذا كان الأمر كذلك فلم الخروج من مصر لهذه الأغلبية؟

إذا نظرنا للأمر بواقعية فإن الخارجين مع موسى من مصر لم يتعدوا البضعة آلاف وغالبيتهم من غير بني إسرائيل- يقول القرآن الكريم (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون- فأرسل فرعون في المدائن حاشرين- إن هؤلاء لشرذمة قليلون)[106] ونلاحظ الآية التالية (فأتبعوهم مشرقين- فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون).

وتتوافق هنا تماماً عبارة الفرعون المذكور (إن هؤلاء لشرذمة قليلون)[107] مع عبارة (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) وكلمة (أصحاب) تطلق عادة على العدد القليل من الكثير (أصحاب الكهف) (أصحاب الرسول) (أصحاب الأيكة... إلخ)

---

[105] التوراة، خروج، 12-38.

[106]- القرآن الكريم، الأعراف، 52-53.

[107]- القرآن الكريم، الشعراء، 61.

مما يدلل يقيناً على أن تعداد كتبة التوراة مبالغ فيه وبشكل خيالي ومما يدلل أيضاً أن الخارجون مع موسى أصحابه الذين قرروا الخروج معه هم قلة من بني إسرائيل المستوطنين في أرض مصر.

لم ينتبه كتبة التوراة إلى ما جاء على لسان النبي أرميا في سفره المكتوب تسلسلاً بعد مئات السنين من الخروج وبعد ما سبقه من الأسفار تاريخياً.

العهد القديم (الكلمة التي صارت إلى أرميا من جهة كل اليهود الساكنين في أرض مصر الساكنين في مجدل وتحفنحيس وفي نوف وفي أرض فتروس قائلة .... في أرض مصر التي أتيتم لتتغربوا فيها لكي تنقرضوا ولكي تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض)[108].

هناك الكثير من العبارات التوراتية التي غفل عنها الكتبة وهي تظهر جانباً من الحقيقة المغيبة.

توراة تكوين 9-1 (ثم قال الرب لموسى أدخل على فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني) يلاحظ عبارة (إله العبرانيين) السؤال هنا- هل هم العبيد العبرانيون المسخرون ومعهم لفيف وخليط أم هم بنو إسرائيل يعقوب- ومن هم إذن قوم موسى ولطالما أن بني إسرائيل قد انتصروا على الفرعون الردة وورثوا الأرض.

القرآن الكريم (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربله الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون)[109].

هذا يدلل على الذين خرجوا من مصر إلى سيناء ويدلل أيضاً على بقاء غالبية من بني إسرائيل في الفردوس المصري دلتا النيل الخصبة والتي أسكنها الفرعون الموحد قبيلة النبي يعقوب والتي سكنت هناك لما يقرب الخمسة قرون حسب قول كتبة التوراة وهي فترة كافية للانصهار في المجتمع المصري وولادة مصريين من ذرية يعقوب- ويضيء العالم فرويد على هذا الجانب بشكل آخر ودون تمييز بين

---

[108]- العهد القديم، أرميا، 44-1-8.

[109]- القرآن الكريم، الأعراف، 37.

العبرانيين والإسرائيليين واليهود الذين لم يكونوا قد ظهروا للوجود مسمي الجميع بلقب (اليهود)- فرويد (ونحن نفترض أن الخروج قد تم في مرحلة خلو العرش بعد عام (1250 ق.م) أما المرحلة التالية حتى الاستقرار في كنعان فيحيط بها غموض شديد- يبدو أن الأبحاث التاريخية الحديثة قد سلطت الضوء على واقعتين اثنتين انتشلتهما من الظلمة الأولى ومكتشفها- سيلين- هي أن اليهود حتماً حسب أقوال التوراة أبوا انصياعاً وامتثالاً لمشروعهم وتمردوا ذات يوم وقتلوه وألغوا ديانة- أتون- تماماً كما فعل المصريون- والواقعة الثانية ومكتشفها ماير- هي أن اليهود العائدين من مصر انصهروا فيما بعد مع قبائل أخرى نسبية تقطن البلاد الواقعة بين فلسطين وشبه جزيرة سيناء وشبه الجزيرة العربية وهناك وفي منطقة خصبة تسمى قادش اعتنقوا تحت تأثير المديانيين العرب- ديانة جديدة عبادة إله البراكين (يهوه) وبعد ذلك بقليل باتوا على أهبة الاستعداد لغزو أرض كنعان)[110] أن ما اكتشفه العالم سيلين- صحيح خاصة فيما يتعلق بقتل الأب (أبي الديانة موسى) والتمرد عليه والتوجه نحو ديانة تتيح لهم تطبيق معتقد الخاص بالشعب المختار وتتيح أيضاً اغتصاب أرض الغير بالسطو والقتل وسوف أعطي تأكيداً قرآنياً على حالة الغموض التوراتية لتغييب النبي موسى كبرهان على أن ما اكتشفه العالم ماير هو عين الحقيقة وسأشرح ذلك من خلال القصة القرآنية التي تضيء على جوانب مهمّة كانت بعيدة عن الفهم والاهتمام في الرأي الأول.

يقول القرآن الكريم والوصف دقيق (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجساً من السماء بما كانوا يظلمون)- والقرية المذكورة هنا هي التي تحدث عنها ماير (قادش برنيع) وبالعربية (عين قديس) وتقع في داخل حدود سيناء الشرقية ومتاخمة لفلسطين ويسكنها أهل مديان والعرب القينيين وهناك تم التمرد على موسى وهارون لذلك كان النص واضحاً.

[110]- العالم فرويد، موسى والتوحيد، ص.86.

(فبدل الذين ظلموا منهم) هذا لأن موسى وهارون ما زالوا بينهم- حيث تبنت غالبيتهم عبادة (إله البراكين يهوه كما المديانيين) وهنا تنبيه إلهي لعدم الخلط وللتمييز ما بين حقبتين- حقبة (اسكنوا) بالنسبة إلى (عين قديس- قادش) وما بين حقبة الدخول إلى القدس موحدين غير مغتصبين- هذه الحقبة ما بعد زمن موسى لأكثر من مئتي عام.

ومن سورة البقرة (وإذ قلنا لهم ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)[112].

المطلوب هنا ملاحظة الاختلاف حتى في التشابه لكي نتمكن من التمييز بين القريتين جغرافياً وتاريخياً حيث نستدل في هذه الحالة على تاريخ وأسباب التنزيل المتشابه لوصف هذه الفئة مع الاختلاف الواضح في الزمان والمكان والغاية (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) (الأعراف) (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) البقرة (نغفر لكم خطيئاتكم) (الأعراف) (نغفر لكم خطاياكم) (البقرة) (فبدل الذين ظلموا منهم) (الأعراف) (فبدل الذين ظلموا قولاً) (البقرة) (رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون)(الأعراف) (رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) (البقرة).

يلاحظ هنا من الاختلاف في النص إلى وجود حالتين مختلفتين تماماً ويفصل بين الحالتين أكثر من مئتي عام- في الأولى وهي قادش عين قديس سيناء (اسكنوا هذه القرية) (الأعراف) في الثانية (ادخلوا هذه القرية) (البقرة) وكما قلنا إنه أمر إلهي بدخول الموحدين بقوله (ادخلوا الباب سجدا) ما يدلل على وجود بيت المقدس معبداً قائماً حتى قبل أن يظهروا للوجود وهو ليس دخول احتلال واغتصاب ومملكة مادية.

من هنا بدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم (دخول القدس) توراة تكوين (ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً- فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون

[112]- القرآن الكريم، البقرة، 58-59.

وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش)[113]- عين قديس موقع (وإذ قيل لهم اسكنوا)*.

أما ما يتعلق بغياب موسى الغامض والغير مقنع فتسدل عليه من نص التوراة نفسها ثم من نص القرآن الكريم- التوراة (وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبوا إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها- قد رأيتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم)[114].

وهي بالمنطقة المعروفة بجلعاد- أما قصة القرآن الكريم فتشير إلى قتل موسى وغيره من الرسل (ع).

(الذين قالوا إن اللّه عَهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين)[115].

التدقيق هنا في عبارة (فلم قتلتموهم) واللّه أعلم- ويؤكد النبي هوشع على هذا الدم وهذه الجريمة تلميحاً (إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة اللّه أكثر من محرقات ولكنهم كآدم تعدوا العهد- هناك غدروا بي- جلعاد قرية فاعلي الإثم مدوسة بالدم)؟![116].

الفارق بين- يظلمون- ويفسقون- هو أن الظلم ظلم النفس بدفعها لركوب موجة الخطأ والإثم- لها- وللغير- أما الفسوق فهو عصيان الإله بالتوجه نحو الكفر أو في عصيان ما أمر اللّه به- وهو الجرم الأكثر شراً وفساداً.

---

[113]- التوراة، عدد 13-25-26.

*- المقارنة بين سورة البقرة والأعراف مستوحاة من كتاب (القصص الحق) للكاتب صلاح الدين خليل الكلاس.

[114]- توراة، تثنية، 34-1-6.

[115]- القرآن الكريم، آل عمران، 183.

[116]- العهد القديم، هوشع، 6-6-8.

القرآن الكريم (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهو لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)[117] وهذا ما خاطب به الرسول عيسى (ع) العصاة من اليهود وبني إسرائيل بوصفه لهم أنهم أبناء إبليس- العهد الجديد.

إنجيل يوحنا- (وقال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله- أنتم تعملون أعمال أبيكم- أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا- ذلك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت بالحق لأنه ليس فيه حق)[118] والجدير بالذكر أن النبي موسى قد تبنى أولئك المضطهدين والرازحين تحت نير عبودية فرعون الردة لكنهم انقلبوا عليه وغيبوه تماماً كما فعل الفرعون اللاحق بأخناتون وكما انقلبوا على ديانته أيضاً واتجهوا نحو إلهة أخرى بدءاً من الخروج حتى صلب المسيح وقتله.

كان موسى يعلم نيتهم بالتمرد ورقابهم القاسية كما تقول التوراة والقرآن الكريم- طالبوا نبيهم أن يجعل لهم أصناماً كما للوثنيين ثم ارتدوا إلى عبادة العجل تيمناً بالمصريين والإله العجل (أبيس) ثم ارتدوا أيضاً إلى عبادة إله البراكين يهوه ثم إلى عبادة البعل (البعليم) وزوجته عشيرة.

قرآن كريم (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[119] (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)[120].

هذا التقلب والبحث عن إله خاص قومي هو اقتباس من المصريين وكانت غايتهم تشكيل أمة خاصة علّها تجد لها مكاناً في التاريخ ولا علاقة للدعوة والتوحيد في هذا التقلب أوالخروج عن ديانة وإله إبراهيم (الأليوهيمية) يبدو واضحاً

---

[117]- القرآن الكريم، الكهف، 50.

[118]- إنجيل يوحنا، 8-39-44.

[119]- القرآن الكريم، الأعراف، 138.

[120]- القرآن الكريم، البقرة، 92.

هنا الفارق ما بين الإله (اليوهيم) إله بني إسرائيل (آل عمران ومن معهم من الأحبار) وبين الإله المعتنق بعد الانقلاب على الموسوية (يهوه) إله العبرانيين والشاسو واليهود المتهودة من الوثنية والهلينستية والرومانية والذين لا تربطهم أية رابطة دموية أو عرقية أو قبلية بإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ذات الجذور الآرامية العربية المشرقية- الحقبة التاريخية الممتدة من الخروج إلى سكنى أرض مدين (قادش برينع) مليئة بالغموض والتشويش التاريخي وصولاً إلى التحريف لدرجة أن راتقي الثغرات والحكم المسبق استناداً للاعتناق الوراثي والدفاع عنه لم يستطيعوا أن يعطوا الصورة الصحيحة والمنطقية لتلك الأحداث وتلك الحقبة ولم يتمكنوا من سد الفجوات- بل أوقعوا أنفسهم في تناقضات صارخة ومكشوفة وبخاصة جماعة المسيحية المتصهينة والمتبنية لعقيدة المملكتين الأرضية والسماوية معاً.

يقول الجدول التاريخي للعهد القديم طبعة 1999 بيروت دار المشرق ص 18- خروج مجموعة موسى من مصر بين (1230-1250 ق.م).

دخول قبائل إلى كنعان إما من الجنوب وإما بعيد ذلك من الوسط عن يد يوشع بن نون حوالي (1230-1220- ق.م) وتذكر التوراة والقرآن الكريم معاً أن بني إسرائيل قد تاهوا في سيناء أربعين عاماً قبل دخولهم إلى فلسطين عبر نهر الأردن وأريحا وبقيادة يوشع بن نون- بينما لم يدخلها هارون وموسى إطلاقاً فإذا كان دخولهم ومع يوشع في العام (1220-1230) ق.م وبعد أربعين عاماً من التيه في سيناء فكيف يكون خروج موسى وأصحابه من مصر (1230-1250 ق.م)؟!!- سيكون الخروج بعد احتساب التيه وبحسب ما جاء في جدول العهد القديم لموسى ما بين (1290- 1270 ق.م)؟.

هذا ليس التناقض الوحيد الذي بين أيدينا وسنعرض إلى ذلك لاحقاً- ثمة شك يطرح نفسه هنا لماذا لم يدخل هارون وموسى الأرض المقدسة؟!.

جاء في تبريرات الأحبار والكتبة في عملية تغيب موسى وهو في الحقيقة انحرافهم عن شريعته ما يؤكد صحة القول إن موسى قد غيب بفعل فاعل.

توراة- عدد وخطاب الرب المدعى لموسى وهارون (من أجل إنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة التي أعطيتكم إياها)[121] وبقول التوراة يصبح موسى خارج الجماعة العبرية واليهودية المرتدة عن ديانته وكان يشعر بالتهديد والردة.

ولم يستطع الكتبة إخفاء ذلك رغم التعديل عليه- توراة تثنية (خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهد عليكم- لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة- هو بعد أنا حي معكم اليوم وقد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي؟)[122].

كان توحيد موسى يلاقي مقاومة وتآمر من قبل العبيد العبرانيين والشاسو وغيرهم لأن رسالته الأتونية الأممية- الشمولية لا تتناسب وتطلعاتهم نحو إله قومي خاص بهم دون غيرهم وعن أرض تكون أرض ميعاد لهم وحدهم ليقيموا عليها مملكتهم العنصرية المادية الانفصالية والتمرد على الإمبراطوريات الحاكمة القوية وبغض النظر عن ماهية الإله حتى لو كان وثياً؟!!.

كانوا يتقلبون نحو آلهة متعددة لشعوب أخرى من هنا كانت مطالبتهم لموسى بأن يصنع لهم آلهة أصناماً كما للآخرين ومن هنا أيضاً كان الارتداد نحو عبادة العجل الذهبي ثم إلى إله الغضب (يهوه) ورغم ذلك الوضوح وبكثير من الدهشة والاستغراب نجد رهباناً وقسيسين وشيوخ لا يتطرقون إلى هذه الحقيقة المغيبة والمتعلقة بنبي أسس برسالته إلى ديانات التوحيد الأخرى وفتح لها طريقها وسموها- رغم إشارة بعض العلماء إلى ذلك.

فرويد اليهودي النمساوي كان قد وجه هذا التهام لهم (أن مقتل موسى على يد شعبه- وهي الجريمة التي أمكن لسيلين أن يجد آثارها في المأثورة والتي سلم غوته الفتي (24) بواقعيتها من دون أن يكون بين يديه وهذا مواقع غرابة أي دليل وبرهان- نقول إن مقتل موسى على يد شعبه حجر من أحجار الزاوية في استدلالنا- وهو بمثابة رباط مهمّ بين الحادث المنسي الذي وقع في العصر البدائي وبين عودته

---

[121] توراة، عدد 20-12.

[122]- توراة، تثنية، 31-26-27.

للظهور في زمن لاحق في شكل الأديان التوحيدية طبقاً لفرضية لها جاذبيتها وإغراؤها- فإن الندم على قتل موسى وهو الذي ولد استيهام التوق إلى مسيح منتظر يرجع إلى الأرض يحمل لشعبه الخلاص وليحقق له السيطرة التي وعد بها على العالم)[123].

أما العالم سيلين فقد كان أشد صراحة ووضوحاً في وصف هذه الجريمة حيث عبر عنها بالتالي- موسى والتوحيد ص. 49 (ستبنى جميع الآمال اللاحقة بقدوم المسيح المنتظر، في أواخر السبي البابلي على وجه التحديد شرع اليهود يعقدون الرجاء على فكرة أن النبي الذي قتلوه غيلة وبسفالة لا تضارعها سفالة- سوف يبعث من بين الأموات وسيقود شعبه التائب وربما شعوباً أخرى إلى مملكة الهناء الأبدي).

مما تقدم يتبين لنا أن هناك فارقاً كبيراً في الجوهر ما بين المسألة الإسرائيلية والمسألة اليهودية فالخلط ما بين اللاهوت والتاريخ أو تزويره بواسطة اللاهوت لا يخدم أصحابه ولا يسوق روايتهم المتناقضة ولا يخدم أيضاً قضية التوحيد رغم قناعتي الشخصية بأن التوحيد هو آخر اهتماماتهم ونواياهم وقصة بني إسرائيل وبخلاف اليهود لم تكن يوماً أكثر من حكاية عن قبيلة اعتنقت ديانة إبراهيم الخليل وارتبطت به برابطة دموية وأبوية وكما العرب تماماً- وهي بلا شك جزء من نسيج المنطقة المشرقية التي طرأت عليها تطورات وحكمتها ثقافات متعددة وإمبراطوريات كبرى ذات حضارات وتراث عريق في وقت لم تشكل هذه القبيلة كياناً سياسياً مستقلاً ولم تترك تراثاً أو تاريخاً خاصاً بها بخلاف الثقافات التي كانت سائدة والتي كانت هي بالذات جزء منها عبر المسيحية والموسوية والإسلام تلك الأديان والثقافات التي أنتجتها هذه المنطقة المشرقية المقدمة الأصلية واعتبرتها جزءاً من تاريخها وتراثها وأصالتها بالتالي فقد اعتنق سكانها هذه الديانات والمذاهب جميعها بما في ذلك بني إسراءيل الذين انصهروا واندمجوا في هذه المجتمعات فكانوا جزءاً منها ومن تاريخها- وهذا بخلاف ما تقوله الرواية التوراتية المكتوبة عن شريعة أو ديانة تشكل تاريخاً ووطناً وشعباً متميزاً عن شعب المنطقة

[123]- العالم فرويد، موسى والتوحيد، ص. 124-125.

الأمر الذي يخالف أسس التكوين الأممي والذي يتكون كيانه من اللغة الواحدة والأرض الواحدة الموحدة والتاريخ والتراث المشترك والعادات والتقاليد الموروثة وبغض النظر عن الديانة أو المذهب الذي اعتنق لاحقاً..

ويعطي توماس طمسن جواباً على كثير من الأسئلة المطروحة في هذا البحث من خلال عرضه الشيق والوجداني في كتابه (الماضي الخرافي- التوراة والتاريخ) فيقول عن استنتاجاته التطورات التاريخية لفلسطين للفترة ما بين (1250-586 ق.م) (كان لابد من نبذ كل الأجوبة التراثية المعطلة لأصول ونشوء إسرائيل، إن آباء سفر التكوين لم يكونوا تاريخيين- فالجزم بأن إسرائيل كان قبل ذلك شعباً قبل دخول فلسطين- سواء في هذه القصص أم في قصص يشرع ليس له أي أساس تاريخي فلا وجود لحملة عسكرية ضخمة من الإسرائيليين البدو الغزاة غزت فلسطين أبداً- لم يكن أي سكان (كنعانيين) متميزين إثنياً أزاحهم الإسرائيليون- لم يوجد عهد قضاة في التاريخ- لم يكن ثمة أية إمبراطورية حكمت (ملكية متحدة) من أورشاليم- لم توجد أبداً أية أمة إسرائيلية متجانسة على الإطلاق- لم يوجد أي رابط سياسي أو إثني أو تاريخي بين الدولة التي كانت تدعى إسرائيل أو بيت عمري وبلدة أورشاليم وبين دولة يهوذا في التاريخ- لم تشترك أورشاليم ولا يهوذا بهوية واحدة مع إسرائيل قبل حكم الحسمونيين في العهد الهيليني- باختصار أن إسرائيل تعود إلى ضوء التاريخ باعتباره (شعب) مزارعين التاريخية الوحيدة التي يمكن الحديث عنها هي شعب المرتفعات الصغيرة التي فقدت حكمها الذاتي السياسي في الربع الأخير من القرن الثامن ق.م والتي تجاهلها المؤرخون ودارسوه على حد سواء بشكل مستمر- هذه هي إسرائيل الذي يعتبر سكانها أنفسهم- بني إسرائيل- والتي تعود إلى ضوء التاريخ باعتبارها (شعب) مزارعي المرتفعات ذاته وهم الذين يشار إليهم في قصص سفر عيزرا بوصفهم أعداء بنيامين ويهوذا وإثمهم هو أنهم يرغبون في المساعدة في بناء الهيكل (إله إسرائيل) في أورشاليم- في القصة ينبذهم يهوذا وعيزرا ويمنحهم المؤرخون هوية (السامرين) الطائفة- إسرائيل هذه ليست التي هي اهتم بها الباحثون الكتابيون الذين يكتبون (تواريخ إسرائيل) وهي ليست إسرائيل التي نجدها في حكايتنا إنها (إسرائيل التاريخية)[124].

[124]- توماس طمسن (الماضي الخرافي)، التاريخ والتوراة، ص. 305-306.

تلك الجماعات اليهودية والعبرانية كانت قد تقلبت نحو ولاءات مختلفة سياسياً وجغرافياً وغالباً ما كانت متناقضة وبعيدة عن الولاء التوحيدي ويحكمها خليط عجيب غير متجانس من المصالح والأطماع- فحولت الموسوية الحقة إلى اليهودية وحولت الدين من ديانة هدائية توحيدية إلى يهودية قبلية عصبوية ادّعت من خلالها بأن اليهودية وطن وهي ليست كذلك فكان لا بد لها ولكتبتها وأحبارها من تزوير الحقائق وطمس التاريخ الفلسطيني الكنعاني واختلاق أسطورة لعنة نوح بحق حفيده كنعان لأن أبيه حام شاهد عورة أبيه نوح في وقت كشفت فيه العبرانية واليهودية عن عوراتها علانية فسوقت كل المحرمات والموبقات والشذوذ والقتل والإباحة الجنسية والخروج على الأخلاق والقيم من خلال القصة التوراتية المدعاة بحق الأنبياء جميعاً ومن يهوذا الذي زنى بكنته وحملت منه سفاحاً (تارح وفارص) والذي يدّعا أن المسيح من أحفاد فارص كتابياً* إلى النبي سليمان وخروجه عن الدين نحو إلهة زوجاته وسراريه الألف- إلى النبي داود المدعى أنه اغتصب امرأة أوريا الحثي وقتله وبأنه كان قاطع طريق سالب- إلى ولده الذي زنى بأخته ثامار إلى القذف بحق السيدة مريم العذراء والسيد المسيح وبداية بالنبي لوط الذي تدعي التوراة أنه قد زنى بابنتيه وحملتا منه سفاحاً وأحيل الراغب بالإطلاع على موبقات ما سمي ببني إسرائيل إلى قراءة أسفار الأنبياء- وأشعيا وأرميا وحزقيال- وهوشع- إن كان من تنديد أو استنكار يتوجب هنا وفي العصر الحديث- فهو يوجه إلى أدعياء المسيحية وهي منهم براء (المسيحية المتصهينة) وفي بلاد العرب يوجه إلى حكام الردة الصهاينة الجدد والذين هم بحكم العدو أكثر من الصهاينة أنفسهم أولئك الذين يتآمرون على العرب وفلسطين وشعب فلسطين وتاريخ فلسطين ويشكلون اليوم حثالة العرب الفاسدين والمنفوط بهم صهيوأمريكياً فهم وبتحالفاتهم (مفعول بهم على الدوام).

يقول الباحث البريطاني كيث وايتلام في كتابه (تلفيق إسرائيل التوراتية- طمس التاريخ الفلسطيني) بهذا الصدد:

---

*- راجع انجيل متى، 1-2، ويهوذا ولد فارص وتارح من ثامارلخ.

(هذه هي المراحل التي اخترقت فيها القبائل العبرانية مناطق عديدة من البلاد وشكلت في النهاية قوم بني إسرائيل أي الشعب الوحيد الذي جعل البلاد موطناً طبيعياً (أهاروني 1980- 1990) ولتأكيد مضاف من المؤلف بالمقارنة مع أبحاث أكثر حداثة وكما سنبين فيما بعد فإن العهد البرونزي المتأخر عفا عليه الزمن اليوم بالمقارنة مع أبحاث أكثر حداثة وكما سنبين فيما بعد فإن الحقيقة المهمة هي أنه لا يقدم أي تبرئة لراية القائل إن (قوم بني إسرائيل) هم القوم الأول والوحيد الذي جعل البلاد موطناً طبيعياً له) أي أن القائل هنا لم يعط أي تفسير عن سبب كون قوم بني إسرائيل هم وحدهم الوحيدين الذين يستطعون أن يدعوا أن البلاد هي وطنهم الطبيعي ومن المثير أن اللغة التي يختارها (أهاروني) تعكس بدقة لغة وعد بلفور في الثاني من نوفمبر تشرين الثاني عام (1917) والذي ألزم الحكومة البريطانية النظر (بعين العطف لإقامة وطن طبيعي للشعب اليهودي في فلسطين) وهكذا ومهما حاول الخطاب الكتابي الحديث عن موضوعيته فمن السهل رؤية أنهم تورطوا في الصراع السياسي المعاصر وادعاءات الدولة الحديثة بأن المنطقة هي الوطن الطبيعي تنعكس في تصور الماضي الذي تحل فيه إسرائيل محل فلسطين وينسخ التاريخ الإسرائيلي مرحلتي ما قبل التاريخ أو كنعانيين فقط وبالتالي فليس هناك شيء اسمه (التاريخ الفلسطيني) ويتابع وايتلام في صفحة أخرى.

(لقد تم تجريد مصطلح فلسطين في البحث العلمي من أي معنى أصيل خاص به- إذاً لا يمكن فهمه إلا إذا أعيد تعريفه من خلال مصطلح آخر لاهوتي أو سياسي مثل الأرض المقدسة أو (أريتس إسرائيل) وما يصدم أكثر من ذلك هو أنه في الوقت الذي يمكن أن ينتشر فيه استخدام مصطلح (فلسطين) وإن يكن مجرداً من أي معنى خاص به فإن استخدام مصطلح فلسطينيين بوصفهم سكان الأرض فلم يرد في البحث العلمي الكتابي- فإذا كان لدينا أرض اسمها فلسطين فلماذا لا يسمى سكانها فلسطينيين ؟)[125].

في مراجعة لما بين السطور التي كتبها وبحث فيها- كيث وايتلام يتضح دور المستشرقين والباحثين الكتابين القدامى الكونياليين والمستوطنين لأراضي الغير في

[125]- كيث وايتلام، تلفيق إسرائيل التوراتية، طمس التاريخ الفلسطيبني، ص. 88-89-91.

تغييب وتزوير التاريخ الفلسطيني وطمس حضارته وتراثه لصالح غزاة ومستوطنين تربطهم بهم مصالح مادية سلطوية استعمارية أولئك الطارئين على التاريخ والوطن الفلسطيني في العصر الحديث هم من بقايا شذاذ الآفاق الذين تسربوا إلى فلسطين كنعان عبر موجات متعاقبة وكانوا طارئين أغراب على شعب كنعان الفلسطيني لم يعرف العنصرية والتمييز والكراهية ويتفاعل ويتجانس مع محيطه الذي شاركه التاريخ والجغرافية لآلاف السنين.

لم تكن فلسطين يوماً إلا جزءاً أصيلاً من الإمبراطورية البابلية والآرامية السورية والآشورية والمصرية وكانت أيضاً تحت الرعاية والحماية وصلة الوصل لطرق تجارة وحضارة تلك الإمبراطوريات العظيمة وحيث القدس في وسطها- في وقت كان يجوب فيه الرعاع من العبرانيين والشاسو البدو المتوحشين العابرين لأطراف البوادي بحثاً عن مغانم للسلب والنهب والسبي والرعي ويعيشون خارج إطار القانون والمدنية والحماية فهل لمثل أولئك المتخلفين أن يتركوا بصمة مدنية أو ثقافية أو فنون وعلوم وآثار في بلد شعب عريق متحضر ذات عادات وتقاليد وتراث وديانة- هذا الشعب الكنعاني الفينيقي الفلسطيني هو من علم شعوب حوض البحر المتوسط أصل الحروف والكلمة والتجارة والإبحار وبني حضارة متوسطية مشرقية لا زالت شواهدها بارزة المعالم والأثر إلى يومنا هذا بالرغم من كل المحاولات التي بذلها ويبذلها المستشرقون والباحثون والكتابيون الغربيون والصهاينة من أمثال (أهاروني- وبرايت ومندهول وغيرهم كثر) العبث بالتاريخ الفلسطيني الكنعاني وتغييبه لصالح قصة الخرافة- التوراتية وتسويقها بالرغم من تناقضاتها الصارخة إلا أن جميع المحاولات قد باءت بالفشل ولم تستطع رتق الفجوات ولا إيجاد المبررات المقنعة ذلك حين أظهرت المكتشفات الآثارية والرقيمات واللفائف والألواح الحجرية ورسائل تل العمارنة المصرية زيف وتحريف التوراة المكتوبة في بابل العراق والمنقولة غالبية أحداثها وحروبها وتراثها وقصصها من أساطير وقصص وتراث الشعوب التي عاش كاتبوها بينها.

إن المساعي المسيحية المتصهينة لتوظيف ما جاء في التوراة عن (إسرائيل القديمة) هي محاولات يائسة مهما حاولت دعم قيام (إسرائيل الجديدة) وبوصفها

الوريثة الشرعية لإسرائيل القديمة المتخيلة والتي تشكل بزعمهم جذور الحضارة الغربية العنصرية التي يدعي روادها أنَّ حضارتهم تسموا على جميع الحضارات والديانات الإنسانية والثقافية والديانات الأخرى وإن المعيار الوحيد الصالح للحكم على الحضارات والديانات هو المعيار الغربي- فستبقى رواية الكتاب العبري منهاجاً مداناً عنصرياً للممارسات الإمبريالية والتي تلتقي مفاهيمها وعنصريتها ومصالحها مع الفكر والعقيدة الصهيو يهودية- وبمعايير مشتركة أسست لها هذه الرواية العبرانية المكتوبة كونها وثيقة تشرع وتبيح السلب والقتل والنهب والإباحة واستيطان أراضي الغير وفرض التسلط والعبودية بالقوة.

تلك العقيدة المادية النابذة للروح وأسس العدالة والمساواة تدعو إلى طغيان شعب مميز مختار من الرب ابناً وحيداً شرع له اغتصاب الأراضي تحت مسمى (أرض الميعاد) والتي يجب أن تستبدل بعبارة (أرض الاستيطان) هي عقيدة لا تمت إلى دعوات الخير والحق والعدالة والتسامح بصلة ولكنها تلبي تطلعات العصابات والجماعات الأوربية المؤلفة من الفارين من وجه العدالة وصائدي الفرص وقطاع الطرق والمنبوذين والمغامرين المستوطنين- فما كتبه وشرعه شذاذ الآفاق واللصوص والقراصنة الغربيون فاتخذوا مما سمي بالنص المقدس مبرراً وعذراً وشريعة تبيح لهم حق ارتكاب الجرائم الوحشية والإبادة والعبودية وسلب الآخر وإلغائه واستيطان أرضه.

وهذا ما فعله الغزاة للقارة الأمريكية بحق سكانها من الهنود الحمر أولئك هم من أدعياء الديمقراطية وحقوق الإنسان والتي تقبع تحت أقدامهم وقصورهم ومعالمهم الملايين من جثث الضحايا البشرية تلك الجرائم المرتكبة بحق الإنسانية تمت تحت عباءة الدين والتوحيد والتبشير والدين منها براء- هكذا فعل دعاة الحرية الغربيون وتماماً كما فعل الغزاة لفلسطين من البدو والعبرانيين والعبيد وما سمي ببني إسرائيل.

يقول الكاتب الأمريكي اليهودي نيل سيلبرمان في كتابه (البحث عن إله ووطن) (كان أوائل المستوطنين البرويانيين في نيو انغلاند الذين قطعوا أشجار

الغابات الكثيفة واحتلوا السفوح الصخرية للتلال لتحويلها إلى حقول أو قرى أو بلدات يعتبرون أنفسهم الخلفاء الحقيقيين لبني إسرائيل والعالم القديم كان (مصرهم) في حين كانت البراري الأمريكية الواسعة (أرضهم الموعودة) ولاهوتهم- كما تمت صياغة أكبر المواعظ الملتهبة لكل من (إنكريز وكورتون مآثر وجون نيثروب ونتإيل وارد) التي لم تتضمن إلا القليل من الرحمة والشفقة الموجدين في العهد الجديد فقدروا أن قصة الخروج من مصر والضياع والتيه الذي دام أربعين عاماً- وإلحاق الهزيمة بالكنعانيين شديد القرب من الوقائع التي كانوا يعيشون في ظلها والمدن التي أسسوها حملت أسماء كتابية مثل بيت إيل وحبرون وكنعان الجديدة وأريحا وبيت لحم وصهيون- أما الأسماء التي حملوها هم وأورثوها لأبنائهم مثل يشوع وموسى وجونثان وأبيغل وربيكا (رفقة) وأحاب وسارة وراحيل)[126].

اليهود- المهتدون- المتهودون

درج الكثير من الكتاب اللاهوتيين والمتخصصين بالشأن الكتابي على الخلط في تسمياتهم وقراءتهم للكتاب المقدس بشقيه (العهد القديم والجديد) على تسميات تطلق جزافاً على جماعات لا تنتمي إلى بعضها بعضاً- اليهودية- الشعب اليهودي- الإسرائيليون) وبذلك يغرقون القارئ في جملة من المغالطات والتفسيرات الخاطئة- ذلك أن كلمة يهود أطلقت بداية على أتباع يهوذا سبط يعقوب بناء على تقسيم توراتي بين ذرية أسباط النبي يعقوب للأرض التي يتم الاستيلاء عليها في فلسطين- من هنا كانت قسمة ذرية يهوذا لأرض القدس وما حولها ثم تسمية جبال يهوذا بينما سميت الأراضي الشمالية (سبسطية) (السامرة).

ولا زال العدو الصهيوني إلى اليوم يصف هذه المناطق (بيهوذا والسامرة)- كان ذلك في القرن العاشر قبل الميلاد عندما حاصر النبي داود القدس (يبوس- اليبوسية) نسبة إلى مؤسسها الملك اليبوسي الكنعاني الموحد لله الواحد (ملكي صادق) حيث دخلها داود عبر قنوات المياه الرئيسية فيها وأصبحت تسمى (باليهودية) (ويهوذا).

[126]- سلبرمان، البحث عن إله ووطن، ص. 60-61.

العهد القديم- يشوع (وأما اليبوسيون الساكنون في أورشاليم فلم يقدر بني يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم)[127]- نلاحظ من نص سفر يشوع- كيف يغلب الكتبة الطابع العنصري الاستيلائي الاستيطاني على أي فكر توحيدي (اليبوسيون الساكنون) وكأن أورشاليم كانت يهودية فسكن فيها اليبوسيون عنوة عنهم فكان لا بد من طردهم منها؟!.

يبرز هنا الطابع القبلي بذكر بني يهوذا وليس بنو إسرائيل (فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم منها) هي ليست دعوة للمساكنة والتعايش والتوحيد والدعوة إليه أنها حالة اغتصاب واستيطان وطرد للسكان الشرعيين وبغض النظر عن عقيدتهم الدينية.

نفهم جيداً أن يستقبل ضيفاً ويكرم وتمتد له يد المساعدة وهذا ما يتفق والسلوك الحميد والسامي وهو ما يتصف به العرب- أما أن يقوم الضيف بسلب مضيفه واضطهاده وطرده من بيته وأرضه وتحويله إلى لاجئ مشرد إلى الأبد- فهذا يخالف كل الأعراف والشرائع والقيم الأخلاقية والإنسانية وبالتالي لا يمكن أن يصدر هذا الفعل إلا من الرعاع المتوحشين وقطاع الطرق والخارجين على كل الشرائع الوضعية والإلهية.

ما أكتبه ليس تجنياً بحق الفاعلين- إنما هذا ما نطق به كتابهم وأحبارهم عبر كتاب يفترض أن يكون كتاب موسى ووحي من الله؟! هي ليست الأولى الذي يتهم فيه كتاب العهد القديم النبي داود بالاغتصاب والسرقة والطرد بل هناك اتهام للأنبياء بالكذب وشهادة الزور وزنى المحارم والقتل والسلب والنهب والسبي والشذوذ والمجون وكأن الأمر دعوة إلى جواز ممارسة هذه الأفعال والجرائم لطالما تقوم بخدمة إقامة المملكة اليهودية المادية لشعب الرب ولطالما أن الأنبياء أنفسهم قد ارتكبوا هذه الأفعال على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة.

سوف أذكر فيما يلي بعض الموبقات الواردة في نص التوراة والتي تدعو للسلب والقتل والإبادة بما في ذلك الأطفال .

---

[127]- العهد القديم، يشوع، 15-62.

توراة خروج (تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب- وأعطي الرب نعمة في عيون المصريين)[128].

تبرير للسلب بالخداع بحق المصريين على يد ضيوفهم المستوطنين- هذا الذهب الذي صنع منه العجل الذهبي المعبود من قبلهم بعيد الخروج من مصر- القرآن الكريم (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري)[129].

وفي ملك باشان الأردن تقول التوراة عدد (فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه)[130] وفي أهل مدين الذين صاهروا موسى واستضافوهم في عين قديس (قادش برنيع) وهناك عبد بنو إسرائيل إلهتهم.

-توراة عدد (وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم- وحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذو كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم)[131].

تدعي التوراة كذلك بحق موسى أعمالاً لا يمكن أن تكون وحياً- توراة- عدد (وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية ..... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها- ولكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات)[132].

شريعة قتل النساء والأطفال لا يمكن أن تكون إلهية أو توحيدية كما لا يمكن أن تكون هذه الدعوات صادرة عن النبي موسى- إنها كلمات الانقلابين العبرانيين وما سمي بيهود يهوه ما بعد تغيب موسى.

الكتبة هنا قد صاغوا بأيديهم الأعذار والمبررات تحت اسم التوحيد- توراة- (كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم- من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم)[133].

---

[128]- توراة، خروج، 11-2-3.

[129]- القرآن الكريم، طه، 87.

[130]- التوراة، عدد 21-25.

[131]- التوراة، عدد 31-9-10.

[132]- التوراة، عدد 31-17.

[133]- التوراة، عدد تثنية، 11-24.

هل سيكون مصير هذه الأراضي بين الفرات والنيل كمصير أهل مدين- القتل- السبي- الإبادة- السطو والغزو وقتل الأطفال والطرد إلى المنفى؟!!.

يقول المناضل الكبير جمال عبد الناصر رحمه الله في إحدى خطاباته في الستينيات وبحس قومي عربي مدرك لأبعاد الخطر الصهيو يهودي مسيحي متصهين وعربي رجعي على كامل المنطقة المشار إليها بالقول:

(إن مشكلة إسرائيل ليست هي مشكلة فلسطين- إنها أبعد أثراً وأشد خطراً- إن إسرائيل خطر توسعي حقيقي يمهد لقيام دولة ما بين الفرات والنيل وتحويل أهلها إلى فلول من اللاجئين وعليه فإن المقاتل المصري والسوري والعراقي لا يحمل السلاح دفاعاً عن أسرة فلسطينية لاجئة فحسب إنما هو إلى جانب ذلك يحمل السلاح دفاعاً عن أسرته المصرية والسورية والعراقية- أمة عربية واحدة تحمل نفس الهدف- لأنها تواجه نفس المصير لو لانت أو هانت يوماً أو ضاعت عليها فرصة الحاضر استعداداً وتأهباً).

وما أشبه اليوم بالبارحة- إن تحقيق هدف إسرائيل التوسعي يكون بتدمير الجيوش العربية في محيط الصراع العربي الصهيوني (المصري العراقي والسوري) ومعهم قوى المقاومة المسلحة والجيش اللبناني ذلك لأن دولة اليهود لا تستطيع العيش إلى الأبد في ظل محيط معادلها ففي ذلك مقتلها وهذا أحد الأسباب لما تتعرض له اليوم سوريا ولبنان والعراق ومصر؟!!.

ولتحقيق هذا الهدف الاحتلالي لابد من اضعاف الجيوش العربية والمقاومة المسلحة ودق الأسافين والفتن ما بينهما تحت مسميات مذهبية وطائفية وعرقية وتقسيمية لتكون دولة صهيون القاضي والجلاد معاً.

إن تشجيع ومساندة وتسليح وتمويل ورعاية التنظيمات الإرهابية المسلحة التي تنادي بقيام الإمارات أو الخلافات الإسلامية وتكفير الآخر تحت زعم تطبيق الشريعة الوهابية- إنما هو عمل يتطابق ويتناغم مع اهداف اليهود والصهاينة التلمودية والذين يطالبون ويخططون لقيام الدولة اليهودية التوراتية وطرد الملايين من سكان الأرض الفلسطينية والعربية فقط لأنهم ليسوا يهوداً.

هذا الفعل المبرمج والمنهجي يقع ضمن مخطط صهيو أمريكي مدروس يهدف إلى تمكين دولة ما يسمى (إسرائيل) من البقاء والسيطرة وتحقيق السلام بينها وبين دول الطوق الذي يفترض بها إنهاء حالة العداء المدمر لهذا الكيان عسكرياً واقتصادياً ونفسياً وديمغرافياً ذلك عبر تمكين التنظيمات والأحزاب الدينية السياسية وفلول العصابات التكفيرية الإرهابية من الاستيلاء على الحكم في كل من العراق ومصر وسورية والأردن ولبنان ضماناً لتوقيع معاهدات السلام والصداقة وإنهاء حالة العداء معها.

لهذا لا بد من إيجاد عدو بديل عنها بالتحول نحو ما يسمى (بالعدو الفارسي الشيعي) وكأن جمهورية إيران الإسلامية قد تشيعت بالأمس القريب عندما طردت السفارة الإسرائيلية من أراضيها وأصبحت مساندة للمقاومة والممانعة العربية وكأن العربان لم يسجدوا ويركعوا ويتحالفوا قبل ذلك مع الشاه العميل وشرطي الخليج المتصهين المتهود المقبور صنيعة أمريكيا وبريطانيا. أولئك الذين تآمروا على الشعب الإيراني وخياره الديمقراطي بالعمل على إسقاط حكومة الدكتور مصدق الوطنية عام (1953) وباعتراف الرئيس الأمريكي أوباما بنفسه في خطابه عام (2009) أمام حشد مختار بعناية في القاهرة!!.

في العام (2009) وبالحرف كتبت في كتابي (الحقيقة والأسطورة في العهد القديم) الخاتمة (تحاول هذه القوى الانهزامية المستسلمة اليوم تحويل الأنظار عن العدو الحقيقي للأمة والمنطقة المشرقية برمتها (إسرائيل) والتوجه بهذا العداء نحو جمهورية إيران الإسلامية حيث تعمل بكل قوتها لتجعل من (إسرائيل اليهودية) بالنسبة لهم وللمنطقة العربية (قطراً شقيقاً) تتحالف معه سياسياً وعسكرياً في مواجهة ما تسميه(الخطر الإيراني الشيعي) حيث ستصنف دولة صهيون اليهودية وستنتمي مستقبلاً إلى (عرب السنة) وقد تصبح قريباً عضواً في جامعة الدول العربية!.

وذكرت في الحاشية العبارة التالية (فمنذ متى تمثل الرجعية العربية ونواطيرها هذه الطائفة السنية المناضلة)؟.

إلى أي جحيم ترغب هذه القوى والأنظمة المتخلفة التابعة أن تذهب بنا؟ وقصدت بما كتبته إعطاء إشارة لما هو قادم من فتنة وحملة على بلاد المشرق العربي لتحقيق أهداف اليهودية الصهيونية المبكرة بحمل الكهنة والأحبار القدامى على ابتداع تشريعات وأوامر إلهية مفبركة تحقق الغاية المرجوة منها وتم دسها في كتاب التوراة.

(حين تقترب من مدينة كي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك للصلح وفتحت لك فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك- وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها- وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة- كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك- هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم- وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليابوسيين)[134].

التائه الغريب المضطهد والمحروم الباحث عن الأمن والسلام والعدالة والإنسانية يصبح هنا بهذا التشريع المتوحش- غازياً- غاضباً قاتلاً سفاحاً محتلاً فإذا ما دافع ساكناً للأرض عن وطنه وبيئته وبيته وبيت أجداده فيجب أن يحاصر ويحارب ويضطهد ويستعبد وفي أفضل الحالات يصبح عبداً للأبد أو يحرم تحريماً بالإبادة الجماعية وعلى يد جماعة من العبيد الذين ذاقوا بزعمهم مرارة العبودية في مصر على يد طاغية رغم تذكير التوراة لهم في التثنية -16-12- (وتذكر أنك كنت عبداً في مصر).

إن الخالق قد أعطى غريزة المقاومة والدفاع عن النفس للإنسان والحيوان معاً- هنا إن تقاوم هذه الهمجية دفاعاً عن أرضك ومالك ونفسك وأهلك فإن توراتهم المزعومة والمشحونة بالكراهية والعنصرية والوحشية تبرر لهم سلبك وإبادتك وسبي أهلك وتاريخك وفي العصر الحديث تسمى مقاومتك للعدو (مخرباً- متمرداً- ارهابياً) تجابه بحرب إبادة جماعية تماماً كما فعل حملة الكتاب المقدس من قطاع الطرق

[134]- توراة، تثنية، 20-10-18.

الساقطين من ثقوب الغربال الأوربيي بحق سكان أمريكيا الأصليين بسلبهم واستيطان أرضهم ومحوا تاريخهم وتراثهم وإبادتهم بدم بارد تنفيذاً لما جاء من أوامر إلهية محرفة ويهودية فاسدة عنصرية ادعوا بهتاناً أنها وردت في الكتاب المقدس؟! (وأما الشعوب والمدن البعيدة عنك جداً) وعبر المحيطات من الفرات إلى النيل إلى جنوب السودان وأثيوبيا والصومال ولبنان والعراق وسوريا ومصر والجزيرة العربية لاحقاً وصولاً إلى المغرب العربي- فيستعبد أهلها لك وتمزقها وتسلب خيراتها وقوت شعبها وتسلبها إرادتها الوطنية فتسخر شيوخها وملوكها وأمراؤها ونواطيرها عبيداً لك (فكل الشعب فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك).

وهذا ما نشاهده اليوم من تسخير أولئك العبيد في حربهم على أبناء جلدتهم من عرب الشمال (عرب المواجهة) (كل ما تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم) تثنية 11-14 حتى شعب كنعان الفلسطيني شعب كاهن الإله العلي القدير اليبوسي الكنعاني الذي استقبل النبي إبراهيم مباركاً ومكرماً- فاقتلوه وشعبه وذريته الموحدة والحثيين الذين كرموا إبراهيم الخليل والذي دفن السيدة سارة في أفضل قبورهم يطالب النص التوراتي بإبادتهم وسلب أرضهم وسبيهم.

توراة تكوين (قالوا لإبراهيم أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا ادفن ميتك) تكوين 23-6- دعوات عنصرية لإبادة الشعوب الأخرى وسلبها واستعبادها واستيطان أراضيها وتدمير أوطانها ذلك حيث تطال اليد الصهيو يهودية والصهيو مسيحية أي مكان في هذا العالم لا تدين شعوب بممارسات وثقافات (اليهودية الصهيو مسيحية) وبناء عليه فإن جميع النظم والدول الاستيلائية الاستيطانية الاستعمارية الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وهي دول وأنظمة استيطانية توسعية تعمل تحت ستار الاستكشاف والحملات التبشيرية والإنسانية واستوطنت كل من كندا وأمريكيا وأستراليا والفوكلاند وجنوب أفريقيا والجزائر سابقاً والأسكا- تحت زعم من مبادئ توراتية محرفة ومدعاة والتي لا يمكن لساستها ورأسماليها المتوحشة المرابية إلا أن تكون ضمن تحالف عضوي وتأييد مطلق لجميع عمليات الإحلال والاستيطان والتوسع.

وحينما تدعم تلك القوى الكولينيالية والامبريالية نظام الفصل العنصري والاستيطاني في فلسطين التاريخية إنما هي تدعم وتشرع احتلالها واستيطانها للأراضي وممتلكات الغير من الشعوب الأخرى التي لا تدين بالولاء لليهودية الصهيونية أو المسيحية المتصهينة وتدعي كذباً هذه القوى الاستعمارية أنها أرض خالية من السكان وغير حضارية تماماً كما تدعي الصهيونية اليهودية أن فلسطين أرض بلا شعب يستوطنها (شعب بلا أرض) وفي تناقض صارخ مع نصوص التوراة ذاتها.

توراة (ومتى أتى بك الرب إلهك التي إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها- وبيوت مملوءة بكل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم زيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت)[135] إذن هي مدن عظيمة مدن حضارة وزراعة ومساكن وآبار وسكان وحضارة- مدينة يسكنها شعب حضاري ذو تاريخ وتراث.

هي إذن أرض لشعب؟! وبمباركة ومساعدة وعنصرية غربية تدعي الحضارة والمدنية والديمقراطية وحقوق الإنسان أصبحت هذه الأرض (فلسطين) تحت سيطرة المتوحشين من شذاذ الآفاق والمتطرفين المحتلين القتلة ومعهم خليط عجيب من سكان حوض المتوسط وأثيوبيا وتركية وبحر الخزر المتهودون ما بعد الوثنية في القرن الثامن الميلادي وغيرهم والذين لا تربطهم أية رابطة بفلسطين وسكانها- توراة (وأما عبيدك وإماؤك الذين يكون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماء- وأيضاً أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يولدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم تستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم أبد الدهر- أما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف)[136].

---

[135]- التوراة، تثنية، 16-10-11.

[136]- توراة، اللاويين، 25-44-46.

يلاحظ هنا الإضافة على النص (أبناء المستوطنين النازلين عندكم) ملاك الأرض الأصليين ضمن هذا النص يصبحون وبشريعة يهوه (مستوطنين) وهم ميراث استعباد ابد الدهر- وسكان الأرض الأصليين يصبحون عبيداً يمارس بحقهم التمييز والكراهية والفصل العنصري- ألم يفعل ذلك المستوطنون البيض (الأنكلو ساكسون) بحق سكان جمهورية أفريقيا الجنوبية (جنوب أفريقيا) حيث أصبح الوافدين الأجانب المستوطنين سكاناً وحكاماً للبلاد وأصبح الجنوب أفريقي غريباً وعبداً يمارس بحقه الفصل العنصري وكل أشكال الكراهية والعبودية والتمييز العنصري على أرض وطنه؟- إنه استعباد وتمييز بناء على العقيدة الدينية أو اللون والعرق- تلك هي الحضارة الغربية البيضاء المستوحاة من نص الكتاب المقدس العبري وهذا الإله التوراتي اليهوي.

إنه إله الصهيونية اليهودية والمسيحية المتصهينة الداعية إلى الكراهية والتمييز وإبادة وتكفير الآخر وهو ليس إله الموسوية والمسيحية والإسلام- هو نمط من إله جاهلي عصبوي بغيض.

تقول التوراة المكتوبة إن الختان هو عهد بين الله وإبراهيم ولنسله من بعده وأنه أي الختان علاقة عهد بينهم وبين الإله.

يقول فرويد (وينبئنا هيروديس (أبو التاريخ) أن الختان كان يطبق في مصر منذ قديم الازمان وقد أكد قوله اكتشاف المومياات وحتى بعض الرسوم على الجدران الداخلية للأضرحة- لم يؤخذ بهذه العادة على حد ما نعلم من شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط)[137] وللمغالاة وسد الثغرات يقول الكهنة المفسرون في حاشية العهد القديم طبعة بيروت 1999 دار المشرق وبالحرف

(كان الختان بالأصل رتبة الاستعداد للزواج ولحياة العشيرة- فأصبح هنا علامة تذكر الله وتذكر الإنسان بانتمائه للشعب المختار وبالواجبات الناتجة عن ذلك انتهى قول الحاشية ص. 92)[138].

---

[137]- العالم فرويد، موسى والتوحيد، ص. 63.

[138]- العهد القديم، طبعة بيروت دار المشرق 1999 اليسوعية، ص. 92.

سبق وأشرت إلى أن العبرانيين وبني إسرائيل اقتبسوا عادات وتقاليد وديانات الشعوب التي تواجدوا بينها ولم يتركوا أية حضارة أو تراث أو علوم ومعارف خاصة بهم- من هنا نجد أن اقتباس عادة الختان وادعاء العهد بين إبراهيم والإله إنما هو ادعاء ليس له أي أساس في الديانتين المسيحية والإسلام ومع قناعاتنا أن عادة الختان هي عادة صحية تعني بصحة الإنسان وهي معروفة قبل وجود الديانات التوحيدية الثلاث لدى المصريين القدامى. والختان ليست العادة الوحيدة التي اقتبست- فقد اقتبس العبرانيون من المصريون الفراعنة عقيدة (الشعب المختار الوحيد) (والأرض المقدسة والدولة المقدسة)- ما يهمنا في هذا الموضوع ليس الختان بحد ذاته وإنما ما يهمنا هو الدفاع عن شريعة الله وجلاله إذ لا يمكن للخالق القدير أن يضع عهده مع إبراهيم أو العبرانيين تحديداً وفي مكان قذر من جسم الإنسان ودليل ذلك هو الختان الذي كان يطبق على الفراعنة المصريين والتي أثبتته الفحوص الطبية على المومياء المحنطة والأضرحة ذلك قبل آلاف السنين من وجود إبراهيم الخليل في وقت نعلم فيه أن الله يضع عهده مع الإنسان في العقل والوجدان والتقوى- في العهد القديم وعلى لسان شاؤول الملك اليهودي وهو يقول للنبي داود:

(فقال شاؤول هكذا تقولون لداود ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة* من الفلسطينيين للانتقام لأعداء الملك)[139] وفي المقطع 27 من ذات النص (حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بقلفتهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك فأعطاه شاؤول ميكال ابنته امرأة)[140].

هذا القصص المضاف والخرافي لا يمكن أن يكون مكتوباً إلا لتشويه قصص الأنبياء ووصفهم بالسادية والتوحش والقتل تبريراً لهم للقيام بمثل هذه الأفعال اقتداء بالأنبياء والحكام ولشرعنة الدعوات الشاذة التي لا علاقة لها بالتوحيد والدعوة إليه وفي توراة- صموئيل الأول يتهم داود بأعمال قطاع الطرق واللصوص.

---

*- القلف (غير المختنين) والغلفة أو القلفة هي ما يستأصل في عملية ختان الذكور.

[139]- العهد القديم، صموئيل الاول، 18-25.

[140]- العهد القديم، صموئيل الاول، 18-27.

(وضرب داود الارض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ بقراً وغنماً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش- فقال أخيش إذ لم تغزوا اليوم فقال له داود بلى على جنوب يهوذا الرحميلين وجنوبي القينيين- فلم يستبق داود رجلاً ولا امرأة حتى يأتي إلى جت إذ قال لئلا يخبروا عنا قائلين هكذا فعل داود- وهكذا عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين)[141].

أي نبي هذا الذي يحمل قيماً إلهية ووصايا النبي موسى تحوله الرواية إلى لص قاتل وقاطع طريق- إن الكثير مما عبر عنه كتبة سفر صموئيل الأول والثاني ويوشع والملوك يبدو أنه لا يتوافق ولا يتطابق أبداً مع جغرافية ومدن وقرى وجبال فلسطين ولا يلتقي مع تقاليدها وعاداتها وحتى مناخها وكأن العديد من هذه القصص والادعاءات قد وقعت في أماكن جغرافية أخرى أو مقتبسة من قصص شعوب أو مغامرين في مناطق مختلفة- قام الكتبة بنقلها وتحريفها وبعض قصصها ما نسب إلى حروب داود ما بين الفرات والنيل في وقت لم يكن هناك أي اثر للجيوش التي تغزو على الخيول أو العربات في فلسطين وكان داود يركب على بغلة ملكية- وقد مسح ابنه سليمان ملكاً على ظهر بغلته الملكية تلك- العهد القديم (فقال الملك لهم: خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به إلى جيحون- وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل- وأضربوا بالبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان)[142].

(وأركبوا سليمان على بغلة الملك داوود)- وما يجعل قولي هذا مثار شك كبير وتساؤل بالغين هو قراءة للآية الكريمة من سورة الأنبياء (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين).

الآية وكأنها تشير إلى ملك سليمان خارج أرض فلسطين- فالقول (إلى الأرض) وليس (من الأرض) ما يدلل على حدوث تلك القصص في ممالك على شكل قرى كانت تسمى ممالك حينها أيضاً تيمناً بما سبق كما هو الحال مع العرب

---

[141]- العهد القديم، سفر الملوك الأول ، 1-33-43.

[142]- العهد القديم، سفر الملوك الأول، 1-38.

الذين سموا الأماكن والمعالم بالأسماء مماثلة لما كانوا قد اسموه في بلاد الأندلس أو كما سمي الغزاة الأوربيين أسماء كتابية في الأراضي الأمريكية التي دخلوا إليها وهذا الأمر يحتاج إلى إعادة قراءة تاريخية لتحديد الحقب والتواريخ ويحتاج إلى جهد كبير على مستوى مراكز الأبحاث المتخصصة في هذا الشأن في الحقيقة التاريخية لفلسطين وبالرغم من القصص التوراتية المسخرة لتغييب هذا التاريخ إلا أن نصوصاً أخرى توراتية تعود لتناقض مع ذاتها وادعاءاتها حيث تبرز الحقيقة التي حاول كتبة التوراة طمس معالمها.

توراة- تكوين- (وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة)[143] (فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين)[144] (وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة وإذا إسحق يلاعب رفقة امراته)[145] (فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون فحسده الفلسطينيون- وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم طمها الفلسطينيون وملاؤوها تراباً)[146].

ومن العهد القديم (وهكذا كانت عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين)[147] وفي تبرير كنسي لاهوتي وبخلاف التاريخ والجغرافيا ودفاعاً عن قدسية النص وسد الثغرات والانحياز المسبق للموروث- يبرر ويذكر كتبة التبديل والتغيير في العهد القديم طبعة بيروت 1999- دار المشرق _اليسوعية) هذا الشرح المبهم في حاشية النص الصفحة 422.

سفر يشوع (الفلسطينيين من كفتور والراجح أنها كريت وكانت مرحلة تنقلهم وكانوا ينتمون إلى شعوب البحر التي تدفق على أبواب مصر حيث صدها رعمسيس الثالث في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد وبعد انهزامهم أقام

---

[143]- التوراة، تكوين، 21-24.

[144]- التوراة، تكوين، 26-1.

[145]- التوراة، تكوين، 26-5.

[146]- التوراة، تكوين، 26-14-15.

[147]- العهد القديم، صموئيل الأول، 27-11.

الفلسطينيون في ساحل فلسطين (ومن هنا اسمهم) أما ذكرهم في التكوين 21-32 و34-26- وخروج 13- فهو استباق؟!) انتهى قولهم في حاشية الشرح والتفسير ص 422.

وفي الصفحة 98- تكوين 21- شرح الحاشية (ذكر الفلسطينيين في الآيتين 32-34- هو في غير أوانه؟)- ما معنى فهو استباق- استباق ماذا- كيف ينزل الفلسطينيون على الساحل الفلسطيني في القرن الثاني عشر ق.م 1200- وخروج بني إسرائيل حسب قول التوراة سني 1230- 1250) ق.م من مصر ثم التيه لمدة أربعين عاماً قبل الادعاء بدخول كنعان فلسطين من قبل يوشع بن نون عبر حرق وتدمير أريحا الفلسطينية وهذا لم يثبت حدوثه تاريخياً وجيولوجياً فإذا كان الخروج عام 1250- ق.م مثلاً والتيه أربعين عاماً فهذا يعني أن يوشع بن نون قد دخلها عام (1190) ق.م حتى أن يوشع بن نون نفسه يصف مدن وأقطاب الفلسطينيين الذين قاتلهم في سفر يوشع 13- 2-4-) حيث يدعى أن الرب يقول ليوشع أنك قد شخت (أنت قد شخت وتقدمت في الأيام وقد بقيت أرض كثيرة للامتلاك هذه هي الأرض الباقية: كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين- من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً تحسب للكنعانيين- أقطاب الفلسطينيين الخمسة- الغزي والأشدودي والأشقلوني والجني والعقروني والعويين).

كيف يصف يوشع والتوراة مدن وأقطاب الفلسطينيين وهم لم ينزلوا بعد إلى فلسطين؟ وينافسونهم على أرضها قبل وجود الفلسطينيين فيها؟!!.

كيف ينزل إبراهيم سنة (1800 ق.م) ضيفاً على ابيمالك ملك الفلسطينيين في تكوين 21-32-34- ثم ينزل ابنه اسحاق أيضاً على أبيمالك ملك الفلسطينيين في (1660 ق.م) تقريباً في تكوين 26-14-15- ويتابع مواقع آبار أبيه التي أغلقها الفلسطينيون والتي حفرها عبيد إبراهيم في أرض الفلسطينيين وكيف يتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة) وهم لم ينزلوا بعد إلى أرض كنعان وبفارق زمني قدره أكثر من 500 عام؟

فكيف هو استباق (وهو في غير أوانه؟) ما هذا الكذب الصارخ الفاضح الواضح- كيف يتلاعب اللاهوت بالتاريخ وأيهما أكثر صدقاً التاريخ أم رجال اللاهوت!!!.

كيف يكذب سفر التكوين بقية أسفار التوراة؟

وفي الخلاصة يستنتج أن كلمة يهودي اشتقت من تسمية لسبط يعقوب (يهوذا) وهي تسمية كانت أيضاً نتيجة القسمة وادعاء توزيع يعقوب في مصر على أبنائه لأرض فلسطين التاريخية فكانت مدينة القدس وجبالها وما حولها من حصة (يهوذا) ومن هنا سميت في حقبة لا تزيد عن مئتي عام (يهوذا والسامرة) هذا ما دفع إلى تسمية كل من اعتنق الموسوية أو ما سمي باليهودية (يهودياً) وهو وصف انتماء لديانة لكنه لم يكن بالمطلق وصف لوطن أو كيان سياسي- فاليهودية اعتنقت في حوض البحر المتوسط وفي الجزيرة العربية (الحجاز) وفي اليمن والمغرب العربي وبلاد فارس ومنها إلى مملكة خازاريا الهائلة في أوراسيا في القرن الثامن الميلادي وتحول سكانها المتهودين حديثاً من الوثنية إلى اليهودية في القرن الثامن الميلادي وبقيت تلك الأقوام على لغاتها ومواطنها ومجتمعاتها وثقافاتها المختلفة وعاداتها وتقاليدها وأنظمتها وحكوماتها- فكيف لتلك الأمم المختلفة أن تسمى شعباً يهودياً أو إسرائيلياً؟!.

بهذا الصدد يقول المؤرخ والباحث الآثاري الروسي ليف غوميليوف في كتابه القيم اكتشاف خازاريا مملكة الخزر. (إن القارئ المثقف تاريخياً يعرف أن الخزريون شعب عاش في أسافل نهر الفولفا وأدان باليهودية وفي العام 965 م انتصر عليه سيفل تو سلاف إيغورفتش أمير كييف والقارئ مؤرخ أو عالم متخصص بالآثار يطرح كثيراً من الأسئلة ما أصل الخزر؟ ما اللغة التي يتكلمون بها؟ لما لم يسلم أحفادهم؟ وبأي طريقة استطاعوا أن يدينوا باليهودية؟ والأكثر والأهم هو كيف تعامل الشعب الخزري نفسه بعضهم ببعض ومع البلاد التي سكنها والمملكة الخزرية الهائلة التي شملت تقريباً كل جنوب شرق أوربا وسكنها كثير من الشعوب؟.

كان في عداد رعايا الملك الخزري البلغار والكامسك والبورتاسيون والسوفريون والموردوف والتترمثيون الفاتشسيون والشماليون والسلاف والوروج (الصقالبة) ويقول أيضاً (الداخلون حديثاً) ويقصد (المتهودون) ويعتبرون (منبوذون وبرص إسرائيل) وفي الواقع إليكم ما كان في بداية القرن السادس بعد أن ألقى الوجيه مزدك القبض على الشاه قنباذ حاول إقامة المساومات في ممتلكات بما فيها النساء وهذه الثورة (من فوق) أثارت مقاومة عنيفة وهيجت مجموعات السكان بمن فيهم اليهود الذين كانوا في إيران أكثر من أي مكان آخر وانقسمت المجموعة البابلية إلى معادين ومناصرين للمزدكيين- الأوائل أجبروا على الهروب إلى بيزنطة (تركيا) والأخرون صاروا في عداد المضطهدين بعد عام 350م عندما أعدم مزدك شنقاً وهرب المزدكيون الناجون إلى القفصاص- عندئذ ظهرت في السهب الواسع بين نهري السولاق واليترك مجموعة اليهود المحافظين على السبت والختان والناسين لكل الوصايا الأخرى- وعاشوا في وفاق مع الخزر وخرجوا معهم في حملات في القرن الثامن استحق أحد الصناديد اليهود لقيامه بمأثر منصب قائد عسكري واستعاد الطقوس اليهودية.

وفي ترجمة مؤلفات يهوذا بارزيل المؤلف اليهودي من القرن الحادي عشر ورد الخبر هكذا (صار الخزر مهتدين حديثاً) ولهم ملوك مهتدون لليهودية إلا أن شيشمان يشير إلى أن كلمة (غير) تعني في التوراة الغريب الذي انضم إلى شعب آخر ونال حقوق القبيلة أو أنه معنا (مهتدون حديثاً) وهي كلمة أدخلت متأخرة ويتابع وخلق تعايش اليهود مع الخزر ظروف سانحة لهجرة اليهود التلموديين البيزنطيتين إلى فازاريا ولكن هنا يكمن الباعث الأبعد فالخزر كقبيلة أوراسية يعتبرون النسب للأب واليهود للأم لذلك فإن أبا الخزري واليهودية (الأم) يحتفظ بجميع حقوق القبائل الخزرية ويمكن قبوله في الجماعة أما ابن اليهودي من الخزرية فكان غريباً بالنسبة لهؤلاء وأولئك وشكل الأخيرون جماعة صغيرة من كارزمي القرم تجمع ملامحهم الأنثربولوجية (السلالية) بين الشخصية التركية والشرق أدنوية أما الأولون فشكلوا جماعة خزرية يهودية من ضمنها السلالة الملكية التركية التي

استولت على السلطة في عشرينيات القرن التاسع في خازاريا)[148] استنتج مما كتبه المؤرخ غوميليوف أن مملكة خازاريا الأوراسية قد أدانت باليهودية بعد الوثنية فأصبح رعاياها خزريين (مهتدين- متهودين) أي أنه لا علاقة لهم (أنثروبولوجيا) إثنياً ولا يمتون بأي صلة تاريخية أو ثقافية أو جغرافية لبني إسرائيل المشرقيين كذلك لا علاقة لهم بالعبرانيين أو باليهود المنتمين إلى (يهوذا) فهم شعوب وأعراق مختلفة أدانت باليهودية كديانة بديلة عن الوثنية في أوطانهم وقبائلهم وثقافاتهم أولئك الذين انتشروا في أنحاء أوربا الشرقية والغربية بعد أن دمر الأمير الروسي سيفا توسلاف مملكتهم الهائلة فكيف للصهيونية اليهودية أن تعتبرهم شعباً يهودياً يطالب بحق العودة إلى أرض فلسطين التي ليس لهم فيها أية رابط في وقت يطرد منها سكانها الأصليين لمجرد أنهم ليسوا يهوداً- ويحرمون من حق العودة إليها؟.

ثم يسلط سيف القمع والتنكيل والتمييز العنصري والأسر ومصادرة الأراضي وتدمير الممتلكات من قبل المستوطنين الغرباء على رقاب الباقين منهم تحت الاحتلال الصهيو يهودي غربي ولمجرد أن أولئك المواطنين هم من العرب المسيحين والمسلمين وليسوا يهوداً في وقت تفتح فيه الأبواب على مصراعيها لاستقبال المتهودين من أمم الأرض تحت ادعاء (الدولة اليهودية).

أي عربي كان مسلماً أم مسيحياً سيعترف بذلك؟! أولئك الصهاينة المتهودون هم من سيحكم ويحكم اليوم ما يسمى دولة إسرائيل (أشكول وبيغن وغولدا مايير وبنغوريون وبولك وشارون وليبرمان ونتنياهو وأولمرت وبيريز وتسيبي وليفني وغيرهم) وجلهم من خازاريا وروسيا وبولندا وألمانيا وأوكرانيا وتشيك وتركيا وإنكلترا وفرنسا وهم يعملون بخلاف المنطق والجغرافيا وحقائق التاريخ على إقامة دولة عنصرية يهودية على أرض كانت ولا زالت حاضنة لكل الديانات والمذاهب السماوية وتعتبر عاصمتها القدس قبلة لكل الموحدين ومن الأديان السماوية الثلاثة ذات الاصول الإبراهيمية الموحدة للإله الواحد.

إن كل ذي عقل ووجدان إنساني وحس وطني سيصاب بالصدمة والحيرة وهو يرقب اللاجئ الفلسطيني الذي ينظر إلى أرض وطنه وبلدته وقريته وقد استوطنها

[148]- ليف غوومليوف، اكتشاف خازاريا، مملكة الحزر، ص. 53- 253-254.

غازياً يهودياً غريباً عنها أسكنه بالقوة بديلاً عن فلسطين استعمار غربي جلب إلى فلسطين قطعاناً من المستوطنين الغرباء من الأميركيين والأحباش والمواطنين الأوربيين شرقاً وغرباً ومن آسيا الصغرى ومختلف أصقاع الأرض في وقت لا يستطيع الفلسطيني المالك الأصلي لها الدخول إليها بل ولا حتى زيارتها؟؟؟

يعيش هذا الفلسطيني اليوم دون بارقة أمل أمام عمليات التهويد والاستيطان وتحويل الأرض إلى قاعدة عسكرية حاملة للطائرات الأمريكية والغربية الإمبريالية ثم تعود دول الغرب والدول العربية المعتلة بالتحدث عن السلام بالمفاوضات فعن أي سلام يتحدثون؟.

يقول المؤرخ البريفسور شلومو ساند من جامعة تل أبيب في كتابه (متى وكيف اخترع الشعب اليهودي) وفي حديث لصحيفة هآرتس العبرية 12-3-2008 (يسعى الكاتب من خلال الحوار مع هآرتس إلى محاولة إثبات أن اليهود الذين يعيشون في إسرائيل وأماكن أخرى من العالم لا ينحدرون جميعهم من الشعب القديم الذي سكن (مملكة يهوذا) أثناء الفترة الأولى والثانية للهيكل ذلك أن أصلهم استناداً لما يقوله ساند هو من شعوب مختلفة من حوض البحر المتوسط والمناطق المجاورة له وهذا لا ينطبق على يهود شمال أفريقيا وحسب بل ينطبق كذلك على معظم المناطق التي أدان أهلها بالوثنية وتحولوا إلى اليهودية في القرن الرابع للميلاد في اليمن اليهود بقايا (مملكة حمير) في شبه الجزيرة العربية واليهود الأشكيناز في شرق أوربا و(اللاجئين من مملكة الخزر) الذين تحولوا إلى اليهودية في القرن الثامن الميلادي وبشكل مختلف عن المؤرخين الذين حاولوا تفحص افتراضات تاريخية صهيونية.

لقد حاول أن يثبت أن الشعب اليهودي لم يوجد قط كأمة عرقية (قومية) بأصل معروف- لكنه مزيج من الألوان ومجموعات بشرية اعتنقت اليهودية في مراحل مختلفة من التاريخ- وقد حاور عدد من المذاهب الفكرية الصهيونية حول المفهوم الأسطوري الملفق الذي يعتبر اليهود شعباً قديماً باعتبار ذلك يعود إلى تفكير عنصري حقيقي- مرت أوقات حين كان أحد ما يجادل في كون اليهود ينتمون إلى شعب من أصول وثنية- فإن سرعان ما يوصف باعتباره معادياً للسامية بشكل

فوري)- في كتاب البريفسور شلومو ساند سنرى وجه الحقيقة فيما يقوله وقد قلناه سابقاً حول التهود في شمال أفريقيا عبر الانتقال من الوثنية إلى (الهدائية- التهود) والذي نقله إلى هناك الباقون من الفردوس المصري من بني إسرائيل والذين لم يخرجوا من مصر مع موسى يقول (إن القدر لم يكن منصفاً مع (داهيا الكاهينا) زعيمة البربر في جبال الأوراس رغم أنها كانت تفتخر بيهوديتها- ذلك وأننا وبصفتنا إسرائيليين فقد تنامى إلينا اسم هذه الملكة المحاربة والتي تمكنت من وقف تقدم الجيش الإسلامي في القرن السابع ميلادي واستناداً لقول المؤرخ ساند- فإن مملكة البربر وقبائل محلية أخرى تحولت إلى اليهودية الإسبانية وهو ما يوضح أن يهود شمال أفريقيا نشئوا من قبائل متنوعة أصبحت (يهودية) وليس من المجتمعات التي خرجت من القدس أو طردت).

ويتابع ساند حول اعتبار اليهود كأمة حسب المفهوم الصهيوني فيقول (فإن وصف اليهود باعتبارهم أمة عزلت نفسها وتتجول في المنافي وتجوب عبر البحار والقارات ووصلوا أخيراً إلى نهاية الأرض- فقد عادوا على شكل مجموعات لوطنهم اليتيم والذي ليس سوى أسطوري قومية على غرار الحركات القومية في أوربا التي شهدت عصراً ذهبياً والتي اخترعت ماضياً بطولياً (على سبيل المثال اليونان وقبائل التايتنك) كي يثبتوا أنهم موجودون منذ بداية التاريخ- كذلك فإن أولى براعم القومية اليهودية ازدهرت في اتجاه الضوء القومي التي تشكلت منابعه في مملكة (داود الأسطورية) في رأي ساند هذه هي الحقيقة.

تم اختراع الشعب اليهودي في مرحلة محددة من القرن التاسع عشر ذلك أن المثقفين اليهود الذين نشؤوا في ألمانيا متأثرين بالشخصية التراثية للأمة الألمانية أخذوا على عاتقهم مهمة اختراع شعب عن طريقة استعادة الماضي بتوقٍ لخلق شعب يهودي معاصر).

حينما نتحدث عن اليهودية كديانة ومجموعات بشرية مختلفة شأنها شأن المسيحية والإسلام فإنا نتعامل مع هذه الديانة وتلك الشعوب باحترام وتقدير كونها ديانة توحيدية أممية ونمد لها يد التعاون والحوار والعيش المشترك في أوطانها المختلفة خاصة (اليهود العرب) الذين لا زالوا يحتفظون بعاداتهم وتراثهم القومي

والوطني في بلادهم وأوطانهم العربية والمشرقية ولعل جمعية ناطوري كارتا اليهودية تشكل مثالاً وقدوة حسنة ليهود الأمم- ويقول البريفسور- ساند (إن قضية خروج الشعب اليهودي هو أسطورة مسيحية أصلية صورت الأحداث باعتبارها (عقاباً إلهياً طبق على اليهود لأنهم رفضوا البشارة المسيحية).

لقد بدأت البحث في دراسات الخروج والطرد من الأرض وأحداثها الأساسية في التاريخ اليهودي مثل (الهولوكوست) لكني كنت مدهوشاً لأني اكتشفت افتقارها لأدب يعبر عنها- والسبب في ذلك أنه لم يكن هناك من طرد للناس من الوطن- ويتابع القول (لقد سألت نفسي عن المجتمعات اليهودية الكبيرة التي ظهرت في إسبانيا- ومن ثم رأيت طارق بن زياد القائد المسلم الفذ الذي غزا إسبانيا لقد كان بربرياً- كذلك القسم الأعظم من جنوده كذلك كانت داهية الكاهينا ملكة بربرية يهودية- وكانت قد هزمت قبل 15 عام وللحقيقة فإن العديد من المصادر المسيحية تذكر أن عدداً من غزاة إسبانيا كان من هؤلاء الجنود البربر الذين اعتنقوا اليهودية)[149].

إضافة واستكمالاً لما جاء به البريفسور ساندي أضيف ليهود شمال أفريقيا متهودون القرن الرابع الميلادي في الجزيرة العربية الوقائع التالية- قبيلة بني حمير كبرى القبائل العربية اليمنية وملكها ذي النواس الحميري الذي أدان انتقالات الوثنية إلى اليهودية في القرن الرابع الميلادي- حاول هذا الملك (المتهود العربي) أن ينشر اليهودية في بلاد اليمن بالقوة ولو بفرض الارتداد من المسيحية إلى اليهودية فهاجم القبائل اليمنية الأخرى التي كانت تدين بالنصرانية واضطهدها واستحضر لها أول (هولوكوست يهودي) في التاريخ الحديث بعد الميلاد وأمر بإحراق كل نصراني من أهل نجران وجيزان لا يرتد لليهودية. ويشرح العلامة الإمام أبي الفداء الدمشقي (ابن كثير) قصة الأخدود فيقول (واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن تامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه- ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الخراب ومن هنا كان أصل دين النصرانية بنجران- قال بن

[149]- البريفسور - شلومو ساندي (كيف ومتى اخترع الشعب اليهودي) هآرتس العبرية 12-3-2008 ترجمة سليمان دباغ.

إسحق: فهذا حديث بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن تامر فالله أعلم أي ذلك كان: فسار إليهم ذو النواس بجنده من حمير فدعاهم لليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخدوا الأخدود وحرقوا بالنار وقتلوا بالسيف فمثل بهم فقتل قريباً من عشرين ألفاً ففي ذي النواس الحميري وجنده أنزل الله تعالى على رسوله الآيات القرآنية بذلك (قتل أصحاب الأخدود- النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود- وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود- وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[150].

المتهودون من اليمن والحجاز وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي وبلاد فارس وتركيا كل بقي في موطنه وعلى دينه فبقي عربياً وفارسياً وتركياً وحبشياً وخزرياً وإسبانياً فكيف يشكل هذا الخليط من الأمم والشعوب (شعباً يهودياً) لمجرد أنه قد أدان باليهودية؟.

هل يتطلب الأمر إسكان عدة مليارات من المسيحين حول العالم في مدينة بيت لحم- مهد المسيح عليه السلام أو في فلسطين مستوطنين لأن السيد المسيح قد ولد هناك وكانت فلسطين مهداً للديانة المسيحية؟.

وهل يتطلب الأمر أيضاً إسكان مليار ونصف المليار من المسلمين حول العالم وتوطينهم في مكة المكرمة والجزيرة العربية لأن الرسول محمداً (ص) قد ولد ونزلت عليه الرسالة هناك؟.

لماذا يصح ذلك على يهود العالم ولا يصح على مسيحي ومسلمي العالم أيضاً؟- علماً أن اليهود أو الموسوية ما نزلت في أرض فلسطين ولم يطأ أبو الرسالة الموسوية موسى (ع) أرضها أبداً؟!!.

أي دين هذا يشترط لصحته وصوابيته أن يكون له رب خاص به دون الشعوب الأخرى ويكون معتنقيه أبناء وحيدين للرب دون غيرهم ولهم منه أرض الميعاد ولو كانوا من مواطني كندا وأستراليا أو حتى ألاسكا؟- أي منطق توحيدي إنساني يحكم هذه المبادئ الشاذة التي لا يمكن تسويقها في عالم سوي تحكمه مبادئ الحق والحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

[150]- القرآن الكريم، البروج، 4-8 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 3، ص. 15.

أثر الانتصار التاريخي لحركة المقاومة اللبنانية عام 2006 تموز وبعد الهزيمة العسكرية والنفسية للعدو الصهيوني وكسر أسطورة (الجيش الذي لا يقهر) ومن أحد تداعيات هذه المعركة وتقرير (جولد ستون) وفي لقاء مع هآرتس العبرية في 2007/6/8 مع السيد إبراهام بورغ أحد أبرز رؤساء الكنيست الإسرائيلي لدورات عديدة وأحد أبرز السياسيين في كيان العدو وحوار معه حول كتابه (المنتصر على هتلر).

يقول (لقد قامت إسرائيل كملجأ آمن للشعب اليهودي وهي اليوم المكان الآمن أمناً لليهود. في إسرائيل أنا أعيش في واقع (بادر لقتل كل من جاء ليقتلك) الأمر الذي يعني عملياً إما أن أنتصر عليك فتموت وإما أني سأموت- فإسرائيل تعزز الفلسفة الإبالية القائلة إن العالم بأسره ضدنا- إسرائيل المكان الذي لا يمكن العيش فيه- إن إسرائيل الشابة المتقدة قد تحولت إلى ناطق بلسان الأموات- إنها دولة تتحدث بكل أسماء أولئك الغير موجودين والذين لم يعودوا موجودين أكثر مما تتحدث باسم كل أولئك الباقين.

إن لم يكن ذلك كافياً- فإن الحرب تحولت لدينا من دون تزيين من ظاهرة استثنائية إلى قاعدة حياة- فنمط حياتنا حربي- اتجاه الجميع تجاه الأصدقاء والأعداء- اتجاه الداخل والخارج ويمكن القول ليس مجازياً أو استعارة إنما بحزن وثقة- إن الإسرائيلي لا يفهم سوى لغة القوة- إنها عبارة انطلقت كجزء من الغطرسة الإسرائيلية إزاء عجز العرب من الانتصار علينا في ساحة المعركة- واستمرت كتسويغ لكثير من الأفعال والنظريات السياسية التي يستحيل تسويقها في عالم سوي.

الفاشية هنا الآن- إسرائيل دولة بلطجة مستقوية وإمبريالية فاقدة لروح الأصالة منطوية على نفسها- الدعوات المتتالية لقتل الفلسطينيين وهدم منازلهم وترحيلهم- تجاوزنا عدداً هائلاً من الخطوط الحمراء في السنوات الأخيرة- لا أستبعد أن يشرع الكنيست في السنوات المقبلة قوانين ضد العرب تضاهي في عنصريتها قوانين (نورمبرغ).

إن الحديث عن محو غزة عنوة يدل على أننا لم نستوعب الدرس- المجتمع الإسرائيلي مذعور إننا معاقون نفسياً- إسرائيل تعاني من صدمة نفسية مستديمة- صدمة النازية- افتقدنا توازننا- نعيش في شعور أن كل العالم ينفر منا- التشدد يسيطر على هويتنا- إنه مجتمع يعيش على سيفه- هذا الشعور ورثناه من ألمانيا وكل ما سلبوه يحتم أن يكون سيفاً كبيراً جداً.

أليس جدار الفصل الذي نقيمه في الأراضي الفلسطينية يدل على انفصام الشخصية الذي نعانيه)[151].

من السهل جداً على القارئ المتمعن ما بين السطور أن يلاحظ في هذا الخطاب أنه الأقرب للواقعية والغير متشدد بل الخطاب المتغير- هذه النتيجة الحتمية المضادة للإعلان الصريح لصاحب هذا الخطاب (الإسرائيلي لا يفهم سوى لغة القوة. إنها عبارات انطلقت كجزء من الغطرسة الإسرائيلية إزاء عجز العرب من الانتصار علينا في ميدان المعركة) ما كانت لتكون وبهذه الواقعية لولا المجابهة التي قامت بها المقاومة الإسلامية اللبنانية ولولا هذا التحالف العضوي ما بين حزب الله اللبناني وبين المقاومة والممانعة والتمويل العربي السوري والإيراني والذي عزز نظرية القائد عبد الناصر (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) فلا التنازل والتفريط العربي والفلسطيني ولا التحالف مع الغربي والأمريكي ولا المفاوضات العبثية والمائة عام الأخرى هي التي ستغير المعادلة والواقع على الأرض.

بل الصمود والتصدي والاستمرار في إحاطة كيان العدو بجدار من العداء والتحدي الذي يجعل من استمراره مستحيلاً في ظل توازن الرعب الذي أحدثته حرب تموز والصمود السوري اللبناني الفلسطيني على جبهات لبنان وغزة.

فلتذهب إلى الجهيم كل اعتراضات ومشاكسات القوى اللبنانية المرتبطة بالخارج وبالقوى الرجعية العربية ومعها بعض القوى الفلسطينية المنهزمة نفسياً والتي اعتبرت عمل المقاومة وصواريخها عبثية وغير مسؤولة وأعمال فردية- بعض القوى التابعة كانت متمنية على جيش العدو الاستمرار في ضرب المقاومة في وقت كان

[151]- سعيد هلال الشريفي، تشرين السورية، اوراق ثقافية العدد 9896- 2007/6/11/ عن هآرتس العبرية 2007/6/8.

يستجدي فيه هذا العدو المنكسر الولايات المتحدة وبعض العرب للعمل على وقف إطلاق النار!!.

إن معادلة التوراة والتلمود (حيث تطأ بطون أقدامكم يكون لكم) قد سقطت إلى الأبد- الأوامر والدعوات الانعزالية والتسلطية التوراتية ومعها المفاهيم العنصرية التلمودية وحدها التي جعلت من يهود الأمم أو بعضهم ينغلقون على أنفسهم في كانتونات طائفية في بلدانهم وبين شعوبهم مما جعل البعض منهم مثار ريبة وشك وحذر وهذا ما سمي في الغرب (معاداة السامية).

هذه المفاهيم الصهيونية العنصرية لشعب الرب وأرض الميعاد وعدم جواز الاختلاط بالشعوب الأخرى سوف لن يتحمل نتائجها الشعب العربي الفلسطيني ولن يكون هناك سلاماً لأحد في هذه المنطقة إلا بعودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه ووطنه وانكفاء الدور الصهيوني الإحلالي العدواني عن كامل المنطقة والتحول نحو السلام العادل والشامل القائم على إحقاق الحقوق وإقامة دولة العدل والمساواة الواحدة.

إن أولئك اليهود الهلينيين والأتراك وفي حقبة من تاريخ المشرق كانوا قد عبثوا في نصوص الرسالات السماوية وبما يخدم مصالح الإمبراطوريات الإغريقية- البيزنطية- الرومانية- أولئك الغزاة لم يكونوا يوماً إلا مستعمرين ومتسلطين على شعوبنا وبلادنا ومحرفين للنصوص المقدسة بما يخدم مصالح استعبادهم وسطوتهم على الآخر.

يستدل من بعض أسفار الأنبياء في العهد القديم إلى وجود الصهيونية المبكرة ولم يكن مؤتمر بازل في سويسرا عام (1897) هو البداية أنها صهيونية ادعيت زوراً باسم بعض من أنبياء بني إسرائيل وكان غرضها جلب المتهودين إلى أرض تدر لبناً وحليباً وعسلاً- هذا المطمع المادي للمملكة المادية الأرضية تعبر عنه رسالة النبي أرميا في سفره والمنتحل انتحالاً على يد الكتبة والكهان في بابل العراق- العهد القديم.

(الكلمة التي كانت إلى أرميا من جهة كل اليهود الساكنين في أرض مصر الذي في مجدل وتحتميس ونوفا وأرض فتروس قائلة- هكذا قال رب الجنود إله

إسرائيل أنتم رأيتم كل الشر الذي جلبته على أورشاليم وعلى كل مدن يهوذا فها هي خربة اليوم وليس فيها ساكن- من أجل شرهم الذي فعلوه ليغيظوني إذ ذهبوا ليبخروا البخور وليعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا آباؤهم) (لا غاظني بأعمال أيديكم إذ تبخرون لإلهة أخرى في أرض مصر التي أتيتم إليها لتتغربوا فيها لكي تنقرضوا ولكي تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض)[152].

خطاب مجازي لاهوتي يخالف منطق وطبائع الأشياء وهو ينتمي إلى القرن السادس قبل الميلاد أي بعد خراب الهيكل الأول والفساد الأول لبني إسرائيل بحسب سورة الإسراء القرآنية.

الخطاب يصور القدس خربة خالية من سكانها فهو لا يعتبر سكان القدس من غير يهود الامم سكاناً وربما ليسوا بشراً أيضاً- رغم أنها عامرة بالسكان- ومن منطق لاهوتي عنصري متحجر يرى كتبة هذا السفر يهود الأمم- يهود جزيرة الفيلة المصريين- ويهود الإسكندرية الإغريق الهلنستيين أصحاب شرعيين للقدس والأرض لمجرد أنهم قد (تهودوا) فاعتبرهم الخطاب مواطنين لهم الحق في سلب أرض الغير- والغير هنا هو الشعب الذي استقبل إبراهيم الخليل في أرض غربته مرحباً ومكرماً حيث كان هذا الشعب اليابوسي وملكه (كاهن الله العلي ملكي صادق) موحداً لله العلي القدير عندما كان أجدادهم وثنيين وبدواً متوحشين.

هذا الخطاب العنصري وإن تخفى تحت ادعاء البخور والتبخير لإلهة أخرى لم يعرفوها- فإنه يظهر الصهيونية المبكرة الانعزالية التي تكفر الآخر لمجرد أنه ليس يهودياً رغم أن اليهودي (اليهوي) الذي اعتنق الإله الغاضب يهوه وبعل وعشتار والعجل الذهبي فذنبه مغفور لأنه يؤمن بالمملكة المادية الربوية واحتقار الآخر (الغويم) فروح الخطاب تقول ليهود العالم (إنكم لن تكونوا مؤمنين ومهتدين إذا لم تتركوا أوطانكم المختلفة لتتجمعوا في القدس فالإله لا يعبد إلا في الهيكل (لكي تصيروا لعنة وعاراً بين كل أمم الأرض)؟!.

التناقض التاريخي التوراتي يهدف إلى محاولة إخفاء حقيقة تاريخية وجغرافية ووجودية مهمة تلقي بالحقيقة في وجه محرفي التوراة والتاريخ هذه الحقيقة التي تقول

[152]- العهد القديم، أرميا، 44-1-3، أرميا، 44-8.

إنه لا علاقة للعبرانيين واليهود المتهودة من شعوب حوض البحر المتوسط والهضبة التركية والحقبة الهلينسية والرومانية والحبشية وغيرها ببني إسرائيل وإبراهيم أولاً ثم لا علاقة لها بأرض فلسطين التاريخية ثانياً وهي جماعات في النهاية عابرة وطارئة عليها- يقول د.أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ (إن ادعاء الصهيونية أن اليهود المعاصرين هم أنسال بني إسرائيل القدماء ويحاولون بذلك الربط بين حركتهم السياسية وتاريخ بني إسرائيل الديني القديم في فلسطين لتبرير ما يهدفون إليه من إقامة دولة وكيان قومي لهم في فلسطين هي ادعاءات باطلة زائفة لا تستند إلى أساس علمي أو وقائع تاريخية ولا يقرها منطق لأن اليهود المعاصرين هم أبعد ما يكون من بقايا الشرق- ويؤكد هذه الحقيقة كثيرون من علماء الأجناس فيقول العلامة (لامبروز) (إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس الآري منهم إلى جنس آخر وإنهم طائفة دينية تتميز بميزات اجتماعية واقتصادية واتسمت إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية وبينهم عدد من سكان الحبشة ومن الألمان الآريين- من التناقل في الأقوام الهندية- ومن الخزر من الجنس المغولي- الذين يتحولون كما يقول المؤرخ ابن ميمون إلى اليهودية في القرن العاشر ثم دفعتهم الهجرات البشرية إلى أوربا الوسطى والغربية)*.

ما ذكره السيد إبراهام بورغ في مقابلته مع صحيفة هآرتس الصهيونية عام 2007 هو من حيث النتيجة المحصلة الموضوعية لتلك المواجهة الباسلة للمقاومة اللبنانية التي استطاعت التغيير في معادلات الماضي العدوانية (الجيش الذي لا يقهر) في وقت تبجح فيه أطراف المحور الآخر الصهيو رجعي عربي طائفي- إن تلك المواجهة كانت عبثية وغير مسؤولة وكذلك صواريخ المقاومة وصمودها- إن مجرد قراءة لما بين السطور لما كتبه إبراهيم بورغ سوف تظهر أن العدو الصهيوني قد استوعب الدرس لكنه لم يعد قادراً على استيعاب الصدمة- الإشارة واضحة (إسرائيل تحولت إلى ناطقة باسم الأموات) (إنها دولة تتحدث بلسان كل الغير موجودين) هي دعوات خجولة لابد وأن تظهر للعلن لاحقاً لتقول (علينا أن نتحدث بلسان المواطنين الأحياء الموجودين على أرض الواقع ولنقف عن المطالبة بدولة يهودية تلموديه تتحدث بلسان

* - د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص. 703.

أموات الماضي الدامي أن ما كان صالحاً قبل ثلاثة آلالف عام لم يعد صالحاً للمستقبل إن دولة (سمها ما شئت) ستكون دولة المواطنة لكل المواطنين المقيمين على أرضها وهي دولة القانون والعلمانية دولة اليهود المشرقيين والمسيحيين والمسلمين من أبناء الأرض الفلسطينية الذين سيتعاهدون ويتعاقدون على المواطنة وسيادة القانون المدني الإنساني الذي يوحد ولا يفرق ويمنح الحقوق العادلة المتساوية للجميع.

إن دولة كما يقول بورغ لا تفهم سوى لغة القوى وتعيش في وجود معاد مع كل جيرانها لا تستطيع الاستمرار في ظل هذا الجو المعادي إلى الأبد وفي ظل عمليات قضم واستيطان للأراضي الفلسطينية المحتلة أصبح معها استحالة قيام دولة فلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية المدعاة- وهي دولة تحاول وفي الرمق الأخير تأسيس دولة يهودية تلمودية عبر تسليح وتمويل ومساندة الحركات التكفيرية والجهادية المرتبطة بالقاعدة علّها تستطيع تأسيس الإمارة الإسلامية المتعددة المتناحرة في بلاد الشام والعراق ومصر وبما يسمى (بدولة الخلافة الإسلامية) الأمر الذي يبرر لها قيام الدولة الدينية اليهودية على كامل أراضي فلسطين التاريخية وترحيل العرب الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين غير اليهود إلى رفح والعريش وسيناء وأجزاء من الأردن بما يسمى (الكونفدرالية) ما يتيح للأردن التمدد نحو إطلالة على البحر المتوسط وسيطرة الإخوان المسلمين على تونس ومصر ولبنان وليبيا والعراق وسوريا تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية وحل قضية الصراع العربي الصهيوني على الطريقة الخليجية الصهيو أمريكية.

هذا هو جوهر الصراع على سوريا فالمطلوب الأخذ برأس فلسطين نهائياً عبر تدمير أسس الدولة العربية السورية وإسقاط آخر قلاع المقاومة والممانعة من دول الطوق العربي المعادي والذي جعل من دولة العدو دولة حالة الطوارئ الدائمة التي يتهددها الزوال عبر سلاح المقاومة الذي يرفده عامل الديمغرافيا والهجرة المعاكسة والتمسك بخيار المقاومة وحق العودة- وما إن تنتصر سوريا وتصمد فإن طبيعة التحالفات الإقليمية والدولية والنفطية سوف تتغير وسوف يتعزز خيار الدولة الواحدة العلمانية ومن شاء فليبقى ومن شاء فليرحل طواعية وسيشعر اليهود العرب بعد أكثر من خمس وستين عاماً أنهم مواطنون من الدرجة الأولى وستسقط نظرية

سيادة الأعراق الغربية اليهودية على الأعراق الشرقية الأخرى وستقام دولة المواطنة لإحياء دولة التكنولوجيا المعززة برافد عربي واسع سيجعل منها واحة للسلام والتعاون والتعايش في أرض لم تعرف التمييز والعنصرية أبداً .